

العنوان:	عمارة المساجد في شرق إفريقيا: بين الأساليب المحلية والتأثيرات العربية والهندية
المصدر:	مجلة كلية الآداب
الناشر:	جامعة سوهاج - كلية الآداب
المؤلف الرئيسي:	بدر، حمزة عبدالعزيز
المجلد/العدد:	ع29, ج1
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2006
الشهر:	مارس
الصفحات:	575 - 679
رقم MD:	986470
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	الأثار الإسلامية، التراث المعماري الإسلامي، مساجد إفريقيا
رابط:	<a href="http://search.mandumah.com/Record/986470">http://search.mandumah.com/Record/986470</a>

## عمارة المساجد في شرق إفريقيا

### بين الأساليب المحلية والتأثيرات العربية والهندية

د. حمزة عبد العزيز بدر<sup>(\*)</sup>

يقصد بتعبير "شرق إفريقيا" منطقتان، المنطقة الأولى هي منطقة القرن الإفريقي، والمنطقة الثانية هي منطقة الساحل الشرقي للقارة الإفريقية والجزر المواجهة لهذا الساحل والمناطق الداخلية<sup>(١)</sup>، وهي منطقة تشمل حالياً دول أثيوبيا، والصومال، وكينيا، وأوغندا، وتنزانيا، ورواندي وبورندي، بالإضافة إلى الجزر المواجهة لسواحل تلك البلدان، وأهمها جزيرة بمبا وزنجبار ومافيا وجزر القمر ومدغشقر، والعديد من الجزر الأخرى القريبة جداً من الساحل، والتي اعتبرها الرحالة المسلمون جزءاً من هذا الساحل، وأهمها جزيرة بمبا، وجزيرة كلوة (خريطة رقم ١).

ومن السمات البارزة لساحل شرق أفريقيا، سهولة الوصول إليه من المناطق الداخلية ومن البحر عنى حد سواء، وقد كانت سهولة الوصول إليه من الداخل عاملاً حيوياً في تحركات السكان إلى الحزام الساحلي، كما أنها تيسر لهم فهم التركيبة العرقية والثقافية لسكان شرق أفريقيا، ومن جهة أخرى كان البحر وسيلة الاتصال بين شرق أفريقيا والعالم الخارجي<sup>(٢)</sup>.

وهي مساحة هائلة تبلغ حوالي ١,٨ مليون كيلو متر مربع، وتمتد من دائرة عرض ٤ درجة شمالاً حتى دائرة عرض ١٠ درجة جنوباً، كما تمتد بين خطي الطول ٣٠ و ٤٠ درجة شرقاً، وهي مساحة تمتد من الشرق إلى الغرب بمقدار ١١٢٠ كيلو متر في شرق القارة الإفريقية، ويفصل الأخدود الغربي بينها وبين منخفض زائيري<sup>(٣)</sup>.

.....

(\*) قسم الآثار الإسلامية - كلية الآداب - جامعة سوهاج.  
(١) عبدالحليم، رجب محمد، العروبة والإسلام في شرق إفريقيا من ظهور الإسلام إلى قدوم البرتغاليين، دار النهضة العربية ١٩٩٩م، ص ١٣.  
(٢) أ.م. هـ. شريف: تاريخ أفريقيا العام، اليونسكو، ١٩٨٥م، المجلد الثاني، ص ٥٦٧.

(٣) الحويري، محمود محمد، ساحل شرق إفريقيا من فجر الإسلام حتى الغزو البرتغالي، دار المعارف، ١٩٨٦م، ص ٩.

وعلى هذه الأرض ذات المناخ الحار المطير عاشت قبائل وأجناس عديدة منذ ما قبل الإسلام، وإذا كانت الطرز والمباني الإسلامية التي انتشرت في العالم الإسلامي قد تنوعت أشكالها وعناصرها المعمارية، فإن العامل الديني قد وحد مضمونها وجوهرها، ومن ثمَّ كان المسجد - وما يزال - يعد تعبيراً صادقاً ومباشراً عن مفهوم الوحدة والتنوع في العمارة الإسلامية<sup>(٤)</sup>. وإذا كان تشابه العناصر المعمارية للمسجد يرجع إلى وحدة الوظيفة، فإن التنوع يرجع إلى البناء في بيئات متعددة ومختلفة؛ فالإسلام لم يقتصر انتشاره على منطقة جغرافية بعينها، وإنما انطوت تحت لوائه شعوب وأمم قطنت أقاليم ومقاطعات مختلفة في طبيعتها الجغرافية، ومتباينة في سماتها الإثنية، وتممايزة في خصوصيتها الثقافية<sup>(٥)</sup>.

وعن التباين الإثني لسكان شرق إفريقيا نشير إلى أهم العناصر والأجناس التي سكنت هذه المناطق قبل الإسلام، فمنهم الأحباش الأوائل الذين عرفوا باسم "الكوشيين"، سكنوا مناطق عرفت قديماً باسم الحبشة، وهو اسم يعني تجمع فئات وعناصر عديدة، مما يدل على تنوع العناصر والأجناس التي يتكون منها شعب الحبشة، ولذلك يفضل الأحباش اسم أثيوبيا، وهو اسم أطلقه عليهم الإغريق، ويعني أصحاب البشرة المحروقة<sup>(٦)</sup>.

(٤) وزيرى، يحيى، العمارة الإسلامية والبيئة، الروافد التي شكلت التعمير الإسلامي، عالم المعرفة العدد ٣٠٤، يونيو ٢٠٠٤ م، ص ١٣٦.  
(٥) السلطاني، خالد: مسجد جينية الكبير في مالي، مجلة تراث العدد ٥٠، يناير ٢٠٠٣ م، ص ٣٠، وقد ناقشت العديد من المؤلفات والدراسات السابقة العوامل المؤثرة في العمارة بشكل عام وفي العمارة الإفريقية بشكل خاص منها:

The Agha Khan Award of Architecture: The Changing Rural Habitat (Vol. 1- 2); Reading The Contemporary African City, Proceedings of Seminar: Architectural Transformations in Islamic World, 1981.

فريد شافعي العمارة العربية في مصر الإسلامية، القاهرة ١٩٧٠ م، ص ٣٣٠ - ٣٣٥.

(٦) عبد الحليم، رجب، المرجع السابق، ص ١٣.

كما سكنت هذه المناطق قبائل رعوية اشتغلت بالرعي والتجارة وهي قبائل العفر والساهو، وعرفت باسم الدناكل واستقرت في سهل الدناكل (الدناقل) والمناطق الساحلية على البحر الأحمر في المناطق المعروفة حالياً بجيبوتي وإرتريا، أما قبائل الصومال فقد استقرت إلى الجنوب من القبائل السابقة، وهي أيضاً قبائل رعوية أطلق عليها العرب لفظ "البربر"، ومنهم أيضاً الزيالعة نسبة إلى مدينة زيلع الصومالية، وهي قبائل عربية الأصل، وجبرتية نسبة إلى مدينة جبرت الواقعة في أثيوبيا حالياً.

وأيضاً قبائل الجالا في الحبشة وقبائل البجة أو البجاة، ومنهم الأمرار والبشارية والهندوة والحدارية، وبنو عامر، وكذلك الزنوج الذين قسمهم المسعودي إلى ثلاثة أقسام، هي: بلاد الزنج، وسفالة الزنج، وواق الواق، وأن أقاصي بلاد الزنج إليها تقصد مراكب العمانية والسيرافيين، وهي غاية مقاصدهم في أسافل بحر الزنج<sup>(٧)</sup>

كذلك سكن هذه المناطق أيضاً العرب الذين هاجروا إلى شرق إفريقيا قبل الإسلام، واشتغلوا بالتجارة واختلطوا بالسكان الأصليين، وذابوا فيهم بسبب قلة أعدادهم، ومعظم هؤلاء العرب من حضرموت واليمن وعمان، وهي المناطق نفسها التي أصبحت بعد ذلك مصدراً متزايداً للهجرة والتجارة بعد الإسلام.

أما عن ديانات هذه المناطق قبل الإسلام ففي المناطق الشمالية من شرق إفريقيا انتشرت اليهودية منذ القرن السادس قبل الميلاد، بعد أن تشتت بنو إسرائيل على يد بختنصر ملك بابل، ثم المسيحية التي انتشرت في الحبشة على يد المتنصرين والتجار والرهبان<sup>(٨)</sup>.  
بينما النصف الجنوبي من منطقة شرق إفريقيا كانت ديانات ذات طابع وثني، وإن أمن البعض بإله واحد أعلى هو خالق السماوات والأرض،

(٧) المسعودي؛ أبي الحسن علي بن الحسن بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت (د.ت)، ج ١، ص ٦٠.  
(٨) Mircea Eliade: The Encyclopedia of Religion, Macmillan Library, USA, New York, 1995, African Religions, pp. 61- 95.

أسموه بأسماء مختلفة مثل "مكلنجو" أو "مكلنجو"، وعبد بعضهم الآخر مظاهر الطبيعة المختلفة مثل الأنهار والأشجار والكواكب والحيوانات والرعد والمطر والرياح، واعتقدوا في الوهية هذه الأشياء، وأنها آلهة تقربهم إلى الإله الكبير البعيد عن هذا العالم بعداً شاسعاً، وهم في اعتقادهم هذا يشبهون العرب إلى حد كبير، كما عبد بعض سكان المناطق الجنوبية من شرق إفريقيا الجن وأرواح الأسلاف والأجداد، واشتغلوا بالسحر والكهانة ليقربونها<sup>(١)</sup>، مما جعل هذه المناطق مهية لانتشار الإسلام، خاصة وأن للعرب علاقات مبكرة مع شرق إفريقيا ترجع إلى ما قبل الإسلام كما سبق أن ذكرنا، وقد ساعدت العديد من العوامل على تأكيد وتقوية واستمرارية هذه العلاقات، وأهمها العامل الجغرافي، إذ تهب رياح موسمية (تجارية) في شهر ديسمبر من كل عام من الشمال الشرقي، وتستمر منتظمة حتى نهاية شهر فبراير، وينعكس اتجاه الرياح فتصبح جنوبية غربية من شهر أبريل إلى شهر سبتمبر، مما يوفر بضعة شهور للتجارة، ومن ثم فهي رياح موسمية شتوية وصيفية أفاد منها عرب جنوب وشرق الجزيرة العربية في القيام برحلتين منتظمين سنوياً من وإلى الساحل الشرقي لإفريقيا<sup>(١)</sup> (خريطة رقم ٢).

وقد كانت أرض الحبشة بشرق إفريقيا أول هجرة في الإسلام، فقد كانت في شهر رجب من السنة الخامسة للهجرة، وتوالت بعد ذلك هجرات العرب والمسلمين إلى أرض الحبشة، واستقر المهاجرون العرب على طول الساحل الشرقي لإفريقيا، وإن لم يتوغلوا في داخل القارة، وقد كان هؤلاء العرب

(١) عبد الحلیم، رجب محمد: المرجع السابق، ص ١٣ - ١٩.  
(١٠) عبد الحلیم، رجب محمد: العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام، مسقط ١٩٨٩م، ص ١٦١ - ١٧٧؛ الجمل، شوقي عطا الله: دور العرب الحضاري في شرق إفريقيا، ضمن أبحاث ندوة الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي والعلاقة بين الخليج العربي وشرق إفريقيا، مركز الدراسات والوثائق برأس الخيمة، الطبعة الثانية ٢٠٠١م، ص ١٣٩.

شديدي الارتباط بمواطنهم الأصلية في شبه الجزيرة العربية، مما حال دون ذوبانهم في الأفارقة الأصلية<sup>(١١)</sup>.

وما تزال الكثير من القبائل العربية في اليمن وسلطنة عمان على صلات قوية بفروعها في شرق إفريقيا وخاصة زنجبار، وقد شيد العرب العديد من المدن على الساحل الشرقي لإفريقيا، وقد كانت هذه المدن مستقلة إحداهما عن الأخرى، وتتميز جميعها بوقوعها على البحر مما يحقق الصلة المستديمة بالجزيرة العربية (خريطة رقم ٣).

غير أن هذه المدن لم تحقق الوحدة السياسية مع بعضها البعض لتكونها من بطون عربية مختلفة، كذلك أيضاً لاختلاف المذاهب الدينية لقاطنيها من أهل السنة والأباضية والزيدية<sup>(١٢)</sup>.

وكان من أهم نتائج وجود هذه المذاهب المختلفة تعدد المنشآت المعمارية بكل مدينة من مدن الساحل الشرقي لإفريقيا، وقد عاشت هذه المذاهب السنية والشيعة والأباضية في هدوء وسلام بعيداً عن التعصب المذهبي، ويرجع ذلك التعدد إلى ارتباط ساحل شرق إفريقيا في العصور الوسطى ارتباطاً قوياً بالعالم العربي خاصة جنوب وجنوب شرق الجزيرة العربية حيث اليمن وعمان، ومنهما قدم المذهبان الزيدي والأباضي، والهند وجنوب آسيا ومنهما قدمت المذاهب الشيعية الإسماعيلية والاثنا عشرية<sup>(١٣)</sup>. وبصفة عامة فقد كانت مدن شرق إفريقيا مراكز لالتقاء معظم المذاهب الإسلامية، وقد انعكس ذلك عن ما أنشئ بها من مساجد، فوجدت مساجد لأهل السنة، ووجدت مساجد لأهل الشيعة، ومساجد أباضية، ولكل منها سماته الخاصة وإن جمعتها العناصر الوظيفية الرئيسية التي لا بد من توافرها للمسجد لكي يؤدي الوظيفة المنوط به.

(١١) زكي، عبد الرحمن: الإسلام والمسلمون في شرق إفريقيا، معهد الدراسات الإسلامية، القاهرة ١٩٦٥م، ص ٣٩؛ الحويري: المرجع السابق، ص ٤١.

(١٢) الحويري: المرجع السابق، ص ٩٩.

(١٣) ياغسي، إسماعيل أحمد، شاكر، محمود: العالم الإسلامي الحديث وتبعصره.

الجزء الثاني: قارة إفريقيا، دار المريخ، الرياض، ١٩٩٢م، ص ٢٦٧.

٢٦٩؛ شاكر مصطفى: موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، دار العلم.

للملايين، بيروت، ١٩٩٣م، الجزء الثالث، ص ١٣٥٩ - ١٣٧٨.

وتشير كثير من الدراسات إلى علاقات التسامح والسلام وروح الود والتعاون التي سادت بين الطوائف المختلفة حتى إن كثيراً من طلاب العلم والدراسات الدينية من الأباضية تلقوا دروسهم على أيدي علماء من السنة، وكذلك طلاب من الشيعة الإسماعيلية أو الاثنا عشرية تلقوا دروسهم على أيدي علماء من السنة أو من الأباضية، وتشير وثائق الأوقاف إلى تعاون وتكاتف كافة الطوائف الإسلامية في بناء مسجد أو حمايته<sup>(١٤)</sup>.

وعلى هذا الجانب الشرقي من إفريقيا اختلطت أجناس عديدة ما بين سكان أصليين، ومهاجرين عرب وآسيويين، فاما السكان الأصليون فنشير إلى أنه بصفة عامة يعيش على أرض إفريقيا ثلاث مجموعات من الأجناس البشرية هم الحاميون، والزنوج، والبانو، بالإضافة إلى البوشمن في مناطق منعزلة بجنوب إفريقيا، وأن مصطلح الباننو في حقيقة الأمر لا يشير إلى أي جنس أو سلالة، بل اصطلاح لغوي يستخدم للدلالة على معظم الإفريقيين في شرق وغرب و جنوب القارة، وأهم عناصر الباننو الغربيون جماعات البانجندة والباينورد، وباتورد، وبانسوحا وتقطن المناطق الشمالية المطلة على المحيط الهندي<sup>(١٥)</sup>.

ونتيجة للهجرات العربية المتواصلة منذ ما قبل الإسلام فإن هذه الجماعات من الباننو تتكلم بلغة تأثرت تأثيراً كبيراً باللغة العربية، واستخدمت الكثير من ألفاظها وتراكيبها، ويجدر بالذكر أن منطقة الصومال (القرن الإفريقي) لا يعتبر أهلها من الرنج مهما بلغ لون بشرتهم من السواد فهم من أصل حامي قديم دخل شرق إفريقيا مهاجراً من جنوب الجزيرة العربية منذ أقدم الأزمنة<sup>(١٦)</sup>.

(١٤) عبد الله، حسن محمد: الحركة المعمارية في زنجبار، المجمع الثقافي بأبو

ظبي، سنة ٢٠٠١م، ص ٨٣.

(١٥) محمد عوض محمد: الشعوب والسلالات الإفريقية، القاهرة ١٩٦٥م، ص ٥٧.

(١٦) جون جنتر: داخل إفريقيا، القاهرة ١٩٧٥م، ج ١، ص ٣٩؛ الحويري: المرجع السابق، ص ١١.

### الهجرات العربية:

تعددت الأجناس العربية التي قطنت تلك المناطق وكان السبتيون من جنوب الجزيرة العربية هم أول من تردد من الغرب على السواحل الإفريقية منذ ما قبل ميلاد السيد المسيح، وذلك بقصد التجارة أساسًا، ثم استقرت جماعات منهم واختلطوا بالسكان الأصليين، وأقاموا المحطات البحرية، وذلك منذ منتصف الألف سنة قبل الميلاد، وازدادت هذه الهجرات بعد انهيار سد مأرب سنة ١٢٠م، وكانت شرق إفريقيا واحدًا من الاتجاهات العديدة التي خرجت إليها هذه الهجرات، وذلك لسابق معرفتهم بهذه المناطق خلال رحلاتهم التجارية المستمرة<sup>(١٧)</sup>.

ثم تعددت الهجرات العربية بعد الإسلام، وتشير المصادر التاريخية إلى أن هذه الهجرات وأصلها:

أولاً: هجرة جماعة من بلاد الشام سنة ٧٦ هـ/٦٩٥م ويبدو أن هذه الهجرة كانت بأعداد كبيرة من العرب الراضين لسياسة بني أمية، وعنف عمالهم وخاصة الحجاج بن يوسف الثقفي، وتقدر هذه الهجرة بعشرة آلاف رجل انتشروا على طول الساحل في لامو ويات ومالندي وزنجبار وممبسة، وكلوة<sup>(١٨)</sup>.

ثانيًا: هجرة سليمان وسعيد ابني عباد الجلندي العماني سنة ٨٣ هـ/٧٠٢م، وقد كانت هذه الهجرة أيضًا فرارًا من جيوش الحجاج بن يوسف الثقفي الذي حاول إخضاع عمان لسيطرة الخلافة (الأموية)، وقد استقرت هذه الهجرة في لامو، وتقع في كينيا حاليًا، واستطاعوا تأسيس إمارة عربية مبكرة، مما جعل هذه الإمارة بعد ذلك مقصدًا لأهل عمان، ويمكن اعتبارها أول إمارة عمانية على ساحل شرق إفريقيا.

ثالثًا: هجرة الزيديين سنة ١٢٢ هـ/٧٤٠م، وقد تأسست هذه الفرقة الإسلامية بعد مقتل الإمام زيد بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب سنة ١٢٢ هـ/٧٤٠م، ففر أتباع الإمام زيد إلى اليمن، وفر

(١٧) عثمان، شوقي عبد القوي: تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية،

عالم المعرفة، العدد ١٥١، يوليو ١٩٩٠م، ص ٨٧ - ٩٧.

(١٨) عبد الحليم، رجب محمد: العروبة والإسلام، ص ٥٠.

جماعة منهم إلى ساحل إفريقيا الشرقي، واستقروا جنوب الصومال في شجايا وبورت وانفورد بالقرب من مدينة مقديشو الحالية، واستطاعوا تكوين إمارة عربية إسلامية عرفت باسم "إموزيديج" (أمة زيدية) <sup>(١٩)</sup>.

رابعاً: هجرة الحرث من الإحصاء سنة ٢٩٥ هـ/٩١٣م وهم بنو الحارث في الإحصاء والبحرين، وكانوا مؤيدين للخلافة العباسية باعتبارهم من أهل السنة، واضطروا إلى الفرار والهروب من القرامطة الشيعة الذين سيطروا على هذه المناطق واضطهدوا أهل السنة.

وتذكر المصادر التاريخية أن هذه الهجرة تمت في ثلاث سفن محملة بالمحاربين والمهاجرين، نزلوا على ساحل بنادر الصومال وتحالفوا مع الصوماليين السكان الأصليين لهذه البلاد، وأجبروا الزيدية الشيعة على الهجرة إلى المناطق الداخلية، وأسوا مدينة مقديشو سنة ٢٩٥ هـ/٩٠٧م، واتخذوها عاصمة لهم، وبنوا مدناً أخرى مثل "براوة" و"مركة" و"قرفاة" و"جليب" وبندر شيخ وغيرها <sup>(٢٠)</sup>.

واستطاعوا تأسيس سلطنة إسلامية هي سلطنة مقديشو، وحكموا البلاد بالشورى عن طريق مجلس من الأشراف وأعيان القبائل للنظر في أمور البلاد، وقد كانت مقديشو سلطنة إسلامية عندما زارها ابن بطوطة في الربع الأول من القرن الثامن الهجري، إذ يذكر أن سلطان مقديشو يلقب بالشيخ واسمه "أبو بكر بن الشيخ عمر"، ويبدو أن الحكم كان قد انتقل من أيدي

<sup>(١٩)</sup> الزيدية هم أتباع الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي، ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة عليها السلام، ولم يجوزوا الإمامة في غيرهم، ويتضح من ذلك أن مفهوم الزيدية السياسي هو أن يكون الإمام عدلاً فاطمياً، أي من نسل الحسن والحسين، وفي نطاق بني فاطمة، ولا يتولى السلطة منهم إلا من كان مجتهداً بلغ درجة الإمام في العلوم الدينية، ويطلق على الزيدية في اليمن "الزيدية الهاشمية"، نسبة إلى الإمام الهادي، الذي يعتبر عالماً مجتهداً في المذهب الزيدي، والذي أسس مذهباً خاصاً به في الفروع، وقد خالف جده الإمام زيد بن علي في مذهبه، ولم يتقيد بأقواله. انظر: السروري، محمد عبده: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة المستقلة في اليمن في عهد البديلات المستقلة من سنة (٤٢٩ هـ / ١٠٣٧م) إلى (٦٢٦ هـ / ١٢٢٨م)، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ٦٩٠ - ٦٩١.

<sup>(٢٠)</sup> عبد الحلیم، رجب محمد، ص ٥٣.

العرب إلى البربر، إذ يذكر أن هذا السلطان في الأصل من البربر، وكلامه بالمقدشي، ويعرف اللسان العربي، وقد أسهب ابن بطوطة في وصف مجلس هذا السلطان ورسمه<sup>(٢١)</sup>.

خامساً: هجرة النباهنة العمانية في بداية القرن السابع الهجري، وقد حدثت هذه الهجرة من عمان إلى ساحل شرق إفريقيا في بداية القرن السابع الهجري حين هاجر أحد ملوك عمان، وهو سليمان بن سليمان بن مظفر النبهاني وأهل بيته وجماعة كبيرة من أتباعه إلى بات في أرخبيل لامو<sup>(٢٢)</sup>، وهي منطقة تقع في كينيا حالياً، واستطاع أن يؤسس سلطنة إسلامية في بات وأصبح هو أول سلطان لها سنة ٥٩٩ هـ/١٢٠٣م، وتعاقب عليها أكثر من ثلاثين سلطاناً، واستمرت حتى سنة ٩١١ هـ/١٥٠٦م حين سقطت تلك المناطق تحت سيطرة الاستعمار البرتغالي<sup>(٢٣)</sup>.

وتشير المصادر إلى قيام سليمان النبهاني بعدة حملات سيطر فيها على العديد من المدن الساحلية شمال بات حتى مقديشو، وامتد نفوذه على مدن أوزي ومالندي وممبسة وكيوايو وكيتاو وكيرمبا ورأس دلجاو وغيرها<sup>(٢٤)</sup>.

#### الهجرات الآسيوية:

يعتبر الهنود أهم الشعوب الآسيوية التي هاجرت إلى سواحل شرق إفريقيا في العصور الوسطى، وهم ينقسمون إلى مسلمين وهندوس، والمسلمين معظمهم شيعة إسماعيلية وأثنا عشرية، وكونوا مجتمعات في جاليات مستقلة وإن ربطتها علاقات جوار وتجارة مستقرة مع الجالية

(٢١) ابن بطوطة: أبو عبد الله محمد إبراهيم اللواتي، (٧٠٤ - ٧٧٩ هـ/١٣٠٤ - ١٣٧٧م)، رحلة ابن بطوطة، تحقيق: كرم البستاني، دار صادر بيروت، ١٩٩٢م، ص ٢٥٥ - ٢٥٦.

(٢٢) عبد الحليم، رجب محمد: العمانيون والملاحة والتجارة، ص ٢٢٦؛ حبيب الحفاتي: دور عمان في نشاط التجارة العالمية في العصر الإسلامي الأول، حصاد ندوة الدراسات العمانية، مسقط ١٩٨٠م، ص ٦١ - ٦٣.

(٢٣) عثمان، عبد الرازق علي: البرتغاليون في شرق إفريقيا وطردهم منها، أبحاث ندوة الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي والعلاقة بين الخليج العربي وشرق إفريقيا، مركز الدراسات والوثائق، رأس الخيمة ٢٠٠١م، ص ٤٤٥ - ٤٥٤.

(٢٤) عبد الحليم، رجب محمد: العمانيون والملاحة والتجارة، ص ٢٢٦.

العربية التي كونت طبقة أرستقراطية حاكمة على الساحل الشرقي لإفريقيا، ومن الجدير بالذكر أن عرب شرق إفريقيا أطلقوا على الهنود اسم بنياني Banyani<sup>(٢٥)</sup>، وهو تحريف للكلمة الهندوستانية "بنيا" Bunia ومعناها تاجر، بل ونجد هذه التسمية مستخدمة أيضاً لدى المؤرخين العمانيين أمثال السالمي وابن رزيق، وقد تميزت هذه الطائفة بالهدوء والميل إلى العزلة والحياة مع الجاليات الأخرى في سلام، واشتهروا بالمهارة في أعمال التجارة والصرافة، وكونوا ثروات وانعكس ذلك على ما شيده من مساجد وعمائر مختلفة<sup>(٢٦)</sup>.

ومن الهجرات الآسيوية أيضاً الهجرات الملاوية، فقد ارتاد الملاويون مناطق شرق إفريقيا للتجارة، واستقروا وكونوا العديد من المستوطنات في مناطق مختلفة.

#### الهجرة الفارسية:

لعل أشهر الهجرات الفارسية هي الهجرات الشيرازية، حينما رحل أحد أبناء سلطان شيراز سنة ٣٦٥ هـ/٩٧٥م من بلاد فارس إلى ساحل شرق إفريقيا، وانتقل من هرمز إلى شرق إفريقيا متجنباً مقديشو التي كان سكانها ينتمون إلى المذهب السني، وتزل في جزيرة كلوة، واشتراها من صاحبها الملك الإفريقي بكمية كبيرة من القماش، مما يشير إلى أنه كان يعمل بالتجارة، واستطاع هو وأولاده وأحفاده أن يؤسسوا سلطنة امتد نفوذها إلى عدة موانئ ومدن من "يمبا" في الشمال إلى "سفالة" في الجنوب، وكانت مدينة كلوة عاصمة لهم<sup>(٢٧)</sup>.

وبالرغم من تأثير هذه الهجرة الشيرازية الفارسية على مظاهر الحياة في الساحل الشرقي لإفريقيا إلا أن الهجرات العربية التي تلتها كانت أعظم تأثيراً وطغت عليها.

(٢٥) السالمي: أبي محمد عبد الله بن حميد، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، مكتبة اشاعت الإسلام، دلهي، الهند (د.ت)، ج-٢، ص ٥٧.

(٢٦) الحويري: المرجع السابق، ص ٣٤.

(٢٧) عبد الحليم، رجب: العروبة والإسلام، ص ٥٦؛ ياغي، إسماعيل، وشاكر، محمود: العالم الإسلامي، الجزء الثاني، ص ٢٦٧.

والواقع أن هذه الهجرات ذات الأعراق المتعددة عربية وآسيوية وفارسية كانت لها تأثيرات حضارية واسعة على ساحل شرق إفريقيا، فقد ترتب على استقرار العرب في شرق إفريقيا قيام تجمعات سكانية لم تلبث أن نمت وأدت إلى قيام عدد من المدن المهمة، ثم أصبحت هذه المدن نواة لإمارات عربية مهمة، انتشرت على طول الساحل الإفريقي، وعمرت هذه المدن بمنازل ومساجد وحمامات وغيرها من العمائر التي تأثرت تأثيراً كبيراً بالأوطان التي قدمت منها هذه الهجرات كما سنرى عند تناولنا لعمارة بعض المساجد بهذه المدن على الساحل الشرقي لإفريقيا، كما هو الحال في مساجد مقديشو وزنجبار وكلوة وغيرها.

كذلك تأثرت بالهجرات الأخرى غير العربية، فعلى سبيل المثال أسس تجار شيراز مسجد الأحقاف في مقديشو، يل إن مدينة "سفالة" الواقعة قبالة جزيرة مدغشقر، والتي يرجع تأسيسها إلى سنة ٣٠٣ هـ/٩١٥م تطلق عليها بعض المصادر العربية "ظفار الزنج" وذلك لارتباط سكانها بأصولهم في ظفار جنوب عمان<sup>(٢٨)</sup>.

كما أن مدينة براوة يرجع الفضل في تأسيسها إلى جماعة من الإحصاء قدموا إلى هذه المنطقة في أوائل القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وأما مدينة "مالندي" وهي واحدة من أهم المدن التجارية على الساحل الشرقي لإفريقيا، فيرجع الفضل في تأسيسها إلى جماعات من العراق وأخرى من شيراز وجنوب شبه الجزيرة العربية، وفي الفترة نفسها تقريباً أسس العمانيون مدينة "ممبسا" ويذكر البعض أنها سميت على اسم مدينة عمانية تحمل الاسم نفسه<sup>(٢٩)</sup>.

والواقع أن معظم معلوماتنا عن شرق إفريقيا في العصر الإسلامي نستمدّها من كتابات الرحالة من عرب وأجانب، أمثال المسعودي وابن

(٢٨) الجمل، شوقي عطا الله: دور العرب الحضاري في شرق إفريقيا، أعمال ندوة

رأس الخيمة التاريخية الأولى ١٩٨٧، ص ٣٢٥.

(٢٩) المرجع السابق، ص ٣٢٦.

بطوطة وماركوبولو، وأيضًا المكتشفين البرتغاليين أمثال فاسكوا داجاما، ودوارت باربروسا<sup>(٣٠)</sup>.

وقد دهش البرتغاليون من المظاهر الحضارية التي لمسوها في شرق إفريقيا، ويذكر المؤرخ الإنجليزي كوبلان في مؤلفه عن شرق إفريقيا وغزاتها: "إننا يجب ألا نندهش لما يذكره هؤلاء الرحالة عن مظاهر الحضارة التي نقلها العرب لشرق إفريقيا، فإن العرب كانوا في ذلك الوقت حملة لواء الحضارة في الغالب، فلا شك أن مدارس بغداد والقاهرة وتونس كانت حتى القرن الثالث عشر تفوق تلك التي في اكسفورد أو أي مدينة مسيحية أخرى"<sup>(٣١)</sup>.

وبالرغم من أن العرب كانوا متمركزين في المناطق الساحلية مكونين طبقة أرستقراطية صاحبة سيادة ونفوذ إلا أنهم لم يكونوا يعيدون عن السكان أو متباعدين عنهم، فقد كان هناك تقارب وتجانس، واختلاط وتزاوج ومصالح مشتركة، والواقع أن العرب في شرق إفريقيا كونوا إمارات عديدة متفرقة وإن اتسع نفوذ بعضها في فترة من الفترات<sup>(٣٢)</sup>.

ويحدثنا ابن بطوطة عن نظام الحكم ورسومه في إحدى هذه الإمارات، وهي مقديشو، ويسهب في وصف مجلس السلطان وموكبه، ويعطينا ابن بطوطة الكثير من المعلومات الأثرية المهمة، التي تؤكد على أن عمارة هذه المناطق جمعت بين الأساليب المحلية والتأثيرات الوافدة في الوقت نفسه، أو أنها استخدمت المواد المحلية التي توفرها البيئة، فيشير إلى مسجد في "رأس دوانر" عبارة عن عريش من القصب، وأن الماء يحفظ في بيض السنام<sup>(٣٣)</sup>، وعند حديثه عن مساجد ممباسا يذكر أنها مساجد من الخشب محكمة الإتيقان، وأنه بكل باب من أبواب المسجد البئر والتنتان، وأن أهلها شافعية المذهب<sup>(٣٤)</sup>.

(٣٠) عثمان، شوقي: تجارة المحيط الهندي، ص ١٦٥.

(٣١) الجمل، شوقي: دور العرب الحضاري، ص ٣٢٨.

(٣٢) عثمان، عبد الرازق علي: البرتغاليون في شرق إفريقيا، ص ٤٥٣.

(٣٣) ابن بطوطة: ص ٢٤٤.

(٣٤) ابن بطوطة: ص ٢٥٧.

وقد حضر ابن بطوطة صلاة الجمعة بمسجد مقديشو، ووصف موكب سلطاتها إلى المسجد الجامع، وتحدث عن دار الطلبة، ودار الطعام بجوار هذا المسجد الجامع، وأشار إلى وجود مقصورة يصلي بها السلطان<sup>(٣٥)</sup>، مما يشير إلى التأثيرات العربية الكبيرة على عمارة هذا المسجد الجامع.

وتتضح التأثيرات الوافدة على عمارة شرق إفريقيا عند مقارنتها بأساليب عمارة المساجد في الغرب الإفريقي الذي كان بمنأى عن هذه التأثيرات، فعلى سبيل المثال يبدو المسجد الجامع الكبير في "جينية" في مالي وهو مسجد يرجع إلى القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، ويبدو مغرقاً في المحلية، وعمارته مستمدة من عمارة الأكواخ في غرب إفريقيا، ويعكس صورة واضحة لمواجزة العمران للمستلزمات الجغرافية والإثنية والثقافية التي تقتضيها طبيعة البيئة وزمن الإنشاء<sup>(٣٦)</sup>.

ويتميز هذا المسجد بالواجهات المرتفعة، والتكسيات الطينية والدعامات الجدارية البارزة التي تنتهي بنهايات مدبية تجعلها تبدو كالأبراج، كما يتميز أيضاً بالروافد الخشبية النائثة في الأركان والأبراج وعند النهايات العليا للجدران، وهي سمات معمارية إفريقية خالصة نجدها في عمارة المساجد (لوحة رقم ١) كما نجدها أيضاً في البيوت التقليدية في المناطق نفسها، خاصة بيوت كبار التجار<sup>(٣٧)</sup> (اللوحة ٢ - ٤)، وقد كانت هذه البيوت تجمع بين وظيفة السكنى والتجارة شأنها في ذلك من حيث الوظيفة شأن بيوت رشيد<sup>(٣٨)</sup>.

وإذا كانت العمارة في الغرب الإفريقي أكثر تلوّناً، فإن العمارة في شرق إفريقيا وخاصة على الساحل قد خضعت لتأثيرات عديدة، أكبرها وأهمها

(٣٥) ابن بطوطة: ص ٢٥٤ - ٢٥٥.

(٣٦) خالد السلطان: مسجد جينية الكبير في مالي، مجلة تراث الإمارات ٢٠٠٣م، ص ٣٠ - ٣٥.

(٣٧) J. J. Guibert: The Ecology and Ideology of Cities on The Edge of Desert: Reading the Contemporary African City: Aga Khan Award: 1983, pp. 9 - 22.

(٣٨) رشيد: النشأة الازدهار الانحسار، مجموعة باحثين، دار الآفاق العربية ١٩٩٩ م، ص ١٩٦ - ٢٠٧.

التغيرات العربية للأسباب التي ذكرناها آنفاً، بالإضافة إلى بعض التأثيرات الفارسية والهندية بحكم تعدد مصادر الهجرات إلى هذه المناطق من شرق إفريقيا.

وتقدم لنا بقايا المساجد والمقابر والنقوش، وهي الأدلة المادية التي يمكن اعتبارها مؤشرات موثوق بها تقدم لنا دليلاً على تضايف التقاليد المحلية والعناصر الوافدة في إكساب المساجد طرازها المميز. كما يلاحظ غياب كثير من أنماط العمائر الإسلامية؛ مثل المدارس والمساجد الجامعة الكبرى، وربما كان ذلك يرجع إلى قلة أعداد المصلين حتى وإن كانت الأقليات المسلمة في هذا الجزء من القارة هي أكبر الأقليات، إذ لم تكن مدن هذا الجزء من القارة مدناً ذات كثافة سكانية كبيرة<sup>(٣٩)</sup>.

كما يلاحظ أيضاً استخدام المواد المحلية في البناء مثل الشعب المرجانية وأغصان شجر المنجروف، وفي عمارة المقابر نلاحظ انتشار الأحواش والمقابر ذات الأعمدة Pillar Tombs وكلها سمات أساسية لعمارة هذه المنطقة، دخلت في نسيجها العديد من العناصر الزخرفية الوافدة مثل خشب الساج الجلوي بالمنحوت، وبلاطات الخزف المزجج ذات الزخارف الهندسية، وكذلك استخدام بلاطات من الخزف الهندي في زخرفة المحاريب<sup>(٤٠)</sup>.

#### مساجد كلوة كيسيواني Kilwa Kisiwani

من المعروف أن هناك ثلاث مدن تحمل اسم "كلوة" هي "كلوة كيفنحي" و"كلوة ماتوكسي" الحديثة العهد؛ و"كلوة كيسيواني"، والأخيرة فقط هي التي تقع في جزيرة كلوة، لأن كلمة "كيسيواني" تعني (على الجزيرة) تمييزاً لها عن كلوة كيفنحي الواقعة على الساحل أي على البر الإفريقي شمال الأولى (خارطة رقم ٤)، وهي العاصمة الجديدة التي أسسها العرب، وأسسوا فيها أسرة حاكمة، وهي العاصمة التي زارها ابن بطوطة، وذكر أن سلطانها وجنده شافعية المذهب، بينما كان الشيرازيون من الشيعة الاثنا عشرية.

(٣٩) انظر، ياغي، إسماعيل، وشاكر، محمود: المرجع السابق، ص ٢٦٨.  
(٤٠) Horton, Mark: East Africa. The Mosque, edited by: Martin Frishman and Hasan-Uddin Khan, London 1994, pp. 195 - 196.

وتقع كلوة كسيواني الآن في تنزانيا وهي على خط ٨ درجة جنوب خط الاستواء، وهي جزء من وادي غمرته المياه يشبه في حجمه وطبيعته المنطقة التي تأتي بعد ذلك في الأهمية الأثرية وهي منطقة أرخبيل لامو<sup>(٤١)</sup>. وتوجد في هذه المنطقة جزيرتان رئيستان، هما كلوة نفسها ويفصلها عن الأرض الأم قناة عميقة جداً يبلغ عرضها حوالي ميل واحد، وجزيرة سونجو أو سونجو منارة كما تعرف حالياً، ويفصلها عن جزيرة كلوة، قناة أخرى عميقة وترتبط سونجو بالأرض الأم عن طريق شريط ضيق في طرفها الجنوبي، وهذا الشريط تقطعه أيضاً العديد من القنوات الضيقة، وبالرغم من المياه الضحلة في هذه القنوات إلا أنها توفر ممراً آمناً للسفن الصغيرة القادمة من البحر والمتجهة جنوباً وذلك حينما يرتفع المد مما أسهم في دفع النشاط التجاري في هذه المدينة<sup>(٤٢)</sup>.

وكلوة نفسها يبلغ عرضها عند طرفها الشمالي أربعة كيلو مترات، وتسعة كيلو مترات من الشمال إلى الجنوب، وجزء كبير من هذه الجزيرة عبارة عن تجويف من صخور المرجان مع تربة حمراء تغطيها الأدغال، ومن ثمَّ كان طبيعياً أن تكون هذه المواد هي مواد البناء الرئيسية المستخدمة في عمارة هذه المنطقة<sup>(٤٣)</sup>.

وتعتبر مدينة كلوا كسيواني التاريخية المتهدمة حالياً أشهر مواقع العصور الوسطى على الشاطئ السواحي<sup>(٤٤)</sup>، وهي عاصمة سلطنة كلوة الإسلامية التي عرفت أيضاً باسم كلوة الشيرازية نسبة إلى من أسسوها، وهم قوم أتوا من شيراز فارس، كما عرفت أيضاً باسم دولة الزنج، نسبة

(41) Gar Lake, Peter S., 'The Early Islamic Architecture of East African Coast', The Journal of African History, Vol. 8, No. 1 (1967), pp. 162- 163; Chittick, Neville, Kilwa: An Islamic Trading City on The East African Coast, The British Institute in Eastern Africa, Nairobi 1974, Vol. 1, p. 6.

(42) Chittick, Kilwa, Vol. 1, p.

(43) Chittick, Kilwa, Vol. 1, p.

(44) Chittick, Kilwa, Vol. 1, pp. 6- 11.

إلى غالبية سكانها الذين كانوا من زنوج شرق إفريقيا، وقد قامت هذه السلطنة نتيجة هجرة علي بن حسن بن علي الشيرازي كما سبق أن ذكرنا، وقد قيل في أسباب هذه الهجرة العديد من الروايات بعضها يعتبر من قصص الأب الشعبي الشيرازي، أما الدراسات التاريخية الحديثة فتشير إلى أن سبب هذه الهجرة هو فرار حاكم شيراز من السلاجقة، الذين استطاعوا في عهد طغرل بك السلجوقي الاستيلاء على شيراز سنة ٤٤٧ هـ/ ١٠٥٥م، وأن يقضوا على الدولة البويهية التي كانت تحكم إيران والعراق في ذلك الوقت، بينما تذكر الروايات المحلية أن كلوة كان بها مسجد عندما وفد عليها الشيرازيون؛ مما يشير إلى أن مسلمين آخرين كانوا قد شقوا طريقهم إلى كلوة واستقروا بها قبل النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي<sup>(٤٥)</sup>.

وعلى أية حال فإن هذه المدينة (كلوة) تقع على مسافة مائة وخمسين ميلاً إلى الجنوب من دار السلام عاصمة تنزانيا حالياً، وقد تبقى بهذه المدينة مجموعة من الآثار المتميزة من بينها مسجد جامع وعدد كبير من القصور والآثار المدنية، فقد استطاعت كلوة في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي أن تصل إلى درجة كبيرة من الثراء بفضل التجارة البحرية مع موزمبيق وشمال إفريقيا وشملت هذه التجارة منتجات مثل الذهب والعاج.

وقد اهتم الألمان ومن بعدهم الإنجليز بآثار هذه المناطق منذ بداية القرن العشرين، وأجريت بها العديد من الحفائر التي كشفت عن استيطان هذه المناطق منذ القرن ٣ هـ/ ٩م، وبناء بيوت من الخشب والطين المجصص<sup>(٤٦)</sup>.

أما البيوت المبنية بالأحجار والمسجد الجامع فترجع إلى القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، وفي سنة ١٣٠٠م تم بناء مجمع قصر يتكون من بناءين رئيسيين، هما "حسوني كويوا" Husuni Kubwa،

(٤٥) الحويري، محمود: المرجع السابق، ص ١١٨ - ١٢١؛ عبد الحليم، رجب: العروبة والإسلام في إفريقيا الشرقية، ص ٣٠١ - ٣٠٤.

(٤٦) Chittick, Kilwa, Vol. 1, pp. 11 - 126; Horton, The Mosque, p. 205.

و"حسوني ندوجو" Husuni Nodogo، وتقع أطلال هذين المنزلين الكبيرين خارج المدينة الرئيسية بحوالي ثلاثة كيلو مترات، ويلاحظ على تصميم هذه المباني وعناصرها المعمارية أنها عناصر آسيوية وعربية، أما التنفيذ فقد كان بمواد محلية من الصخور المرجانية والأحجار الجيرية، ويمثل هذا المجمع من العمارة السكنية واحدة من المحاولات القليلة لإدخال عمارة أجنبية إلى سواحل شرق إفريقيا<sup>(٤٧)</sup>، وهي التأثيرات التي نجدها أكثر وضوحًا في عمارة المساجد.

### المسجد الجامع في كلوة كيسيواني:

يعتبر المسجد الجامع في كلوا كيسيواني واحدًا من أهم المنشآت على الشاطئ السواحي؛ فقد قارنه المستكشفون البرتغاليون بالمسجد الجامع في قرطبة، ويعتبر هذا المسجد ذا أهمية كبيرة في دراسة تطور عمارة هذه المنطقة فيما بين القرنين الخامس والتاسع الهجريين (١١ - ١٥م)، وذلك لأسباب عدة منها أنه أقدم المساجد التي أشارت إليها المصادر التاريخية، وأنه تعرض لإضافات وتعديلات خلال فترة زمنية طويلة، وأنه أيضًا أفضل المباني التي ظلت قائمة وفي حالة جيدة حتى قدوم البرتغاليين، الذين قارنوه بالمسجد الجامع في قرطبة كما ذكرنا سابقًا.

ويقع هذا المسجد حاليًا على حافة قرية حديثة، ويتكون من قسمين واضحين (شكل رقم ١) القسم الشمالي وهو الأقدم، ويسقفه سقف مسطح، وتقع ميضاته في الجانب الغربي منه، والجزء الجنوبي، أو التوسع الأكبر باتجاه الجنوب، وتسقفه القباب والقبوات وتقع ميضاته في طرفه الجنوبي (شكل رقم ٢).

### القسم الشمالي:

يرجع هذا القسم وهو رواق الصلاة الأقدم في هذا المسجد إلى الفترة الثانية من التاريخ الإسلامي لهذه المنطقة، أي إلى عصر الأسرة الشيرازية

(٤٧) Horton, East Africa, p. 205.

في القرن الخامس الهجري، وقد بني هذا المسجد بالحجارة المرجانية، صفت في مداميك غير منتظمة يبلغ سمكها من ٢٠ إلى ٢٥ سم<sup>(٤٨)</sup> مما استدعى بعد ذلك زيادة سمك هذه الجدران ودعمها من الخارج بدعامات مدمجة لكي تتحمل السقف الجديد<sup>(٤٩)</sup>، وهو أسلوب معماري انتشر في إيران في الفترة نفسها<sup>(٥٠)</sup>، والواقع أن هذا المسجد أو الجزء القديم منه عبارة عن ساحة صلاة بسيطة مستطيلة الشكل، بها ثلاثة صفوف من الأعمدة الخشبية تحمل عقوداً متقاطعة يقوم عليها السقف الجديد.

وقد فتح في كل من الجدارين الشرقي والغربي ثلاثة مداخل معقودة، استخدمها المعماري إنشائياً في الربط بين الجدران الداخلية القديمة والجدران الخارجية المضافة؛ إذ أصبحت هذه المداخل تشكل ممراً يربط بين هذه الجدران (شكل رقم ٢)، وربما كانت الأبواب القديمة معقودة أيضاً<sup>(٥١)</sup>، أما المحراب فهو محراب منخفض داخل إطار مستطيل، ويتوج حنية المحراب عقد نصف دائري زخرف تجويفه بتضليعات جصية، يكتنفه أعمدة جصية مدمجة، وهو بهذا الشكل يشبه العديد من محاريب العمانية في زنجبار (لوحة ١٢) كما يشبه العديد من محاريب جنوب شرق الجزيرة العربية في الفترة من ٩ - ١١ هـ (١٥ - ١٧ م)<sup>(٥٢)</sup>.

وسقف هذا القسم من المسجد كان يقوم على تسعة أعمدة خشبية جعلت في ثلاثة صفوف، كل صف منها يحتوي على ثلاثة أعمدة، وهي أعمدة خشبية مضلعة لكل منها ستة عشر ضلعاً، وتحمل روابط خشبية واستخدام الأعمدة الخشبية المزخرفة تأثر هندي انتقل إلى العمارة الإسلامية

(48) Chittick, Kilwa, Vol. 1, p. 61.

(49) Horton, East Africa, p. 205.

(50) Behzadi, Abdolreza Salar, Arg- e-Bam, I.R. Iran, 1997, p. 35.

(51) Chittick, Kilwa, p. 163.

(52) Bandyo Padbay, Soumen, The Roots of Decorated Omani Mihrabs, Pdo News, Moscat, 2002, pp. 22 - 28.

المبكرة<sup>(٥٣)</sup> وانتشر استخدامها بعد ذلك في آسيا الوسطى وجنوب شرق الجزيرة العربية وشرق إفريقيا، بل واستخدمت مثل هذه الأعمدة الخشبية في العديد من مساجد صعيد مصر في العصر العثماني<sup>(٥٤)</sup>.

أما الميضاة فهي عبارة عن حجرة مستطيلة تقع خارج المسجد من الجهة الجنوبية، وتحتوي المساحة المخصصة للوضوء على ثلاثة خزانات للميضاة وبئر (الشكل رقم ١).

القسم الجنوبي من المسجد:

تختلف عمارة هذا القسم تماماً عن عمارة المسجد القديم (القسم الشمالي) فهو مستطيل الشكل مسقف بالقباب والأقبية، تحملها دعائم ثمانية الأضلاع، ويرجح تشتك (Chittick) أن هذه الزيادة ترجع إلى حوالي ١٣٠٠م، وتبلغ مساحتها ضعف مساحة المسجد القديم، وهي عبارة عن خمس بائكات من الأعمدة المذكورة، تشكل ست بلاطات من الشمال إلى الجنوب، وخمس بلاطات من الشرق إلى الغرب، وقد سقفت البلاطة الخارجية في هذا القسم من المسجد بالقباب، بينما سقفت البلاطة الثانية والرابعة من الشمال إلى الجنوب بأقبية برميلية (شكل ١)، وهي قباب مبنية ومجصصة وخالية من الزخارف باستثناء القبتين الثانية والرابعة في الجانب الشرقي مما يلي المدخل فهما مزلعتان<sup>(٥٥)</sup>.

وقد بنيت جدران هذا القسم من المسجد بقطع الصخور والحجر غير المروم والجص<sup>(٥٦)</sup>، وهو أسلوب في البناء نجده في المناطق الساحلية في

<sup>(٥٣)</sup> مسجد السلطان محمود الغزنوي الذي بناه في غزنة (٤/١٠هـ) كان ذا سقف مرفوع على أعمدة خشبية استحضرت له من الهند، وكانت ملينة بالزخارف البراقة بالألوان الأحمر والذهبي واللازوردي.

<sup>(٥٤)</sup> عثمان، محمد عبد الستار: أحميم في العصرين القبطي والإسلامي، الإسكندرية ١٩٨٢م، ص ٧٦-٧٧.

<sup>(٥٥)</sup> عن تاريخ استخدام الأقبية والقباب في العمارة الإسلامية، راجع:

Creswell (K.A.C.), 'Early Islamic Architecture', Vol. 1, 1932, pp. 360-362;

شافعي، فريد: العمارة العربية في مصر الإسلامية، القاهرة ١٩٧٠م، ص ١٩٧-١٩٩.

(56) Chittick, 'Kilwa', p. 64.

جنوب وجنوب شرق الجزيرة العربية والمناطق المطلة على المحيط الهندي<sup>(٥٧)</sup>، وفي ركن المسجد الجنوبي الشرقي قبة كبيرة في ركنها الجنوبي الشرقي صهريج مقبب، ويتقدم هذه القبة بهو مستطيل مغطى بقبوة برميلسي (شكل رقم ٤)، وفي الجدار الجنوبي ثلاثة أبواب الأوسط منها يؤدي إلى البلاطة الوسطى والمحراب.

وقد ورد في حوليات كلوة<sup>(٥٨)</sup> أن هذا المسجد انهدم في عهد السلطان الحسن بن سليمان حفيد الحسن بن طالوت المهدي، وهو البيت العربي الذي آل إليه ملك كلوة من البيت الشيرازي سنة ٦٧٦ هـ/١٢٢٧ م، وأن هذا المسجد ظل متهدماً فيما عدا القبة الكبيرة فقد كان يصلح فيها وظل المسجد مستهدماً والسناس يصلون تحت ظلال الخصيف والخيام إلى زمن السلطان سليمان بن عبد الملك العادل الملقب بالمطر الجديد، والذي حكم في الفترة من (٨٢٤ - ٨٤٦ هـ/١٤٢١ - ١٤٤٢ م)<sup>(٥٩)</sup>.

ويفسر نيفل تشيتك Neville Chittick ذلك بأن هذا المسجد كان مسجداً شيرازياً أي مسجداً للشيعة، ولما انهدم لم يتم إصلاحه على الفور، ويرجح أن تهدم هذا المسجد كان في عهد السلطان أبي المواهب، وأن الأمير سيدي حاج راشي ابن السلطان حسن طلب من السلطان سليمان الإذن بإعادة بنائه على نفقته الخاصة، غير أن السلطان رفض هذا الطلب، ودفع إليه المال المطلوب لإعادة بناء المسجد، إلا أن حاج راشي أعاد بناء المسجد على نفقته، واحتفظ بمال السلطان سليمان، وأعادته إلى ورثته بعد وفاته<sup>(٦٠)</sup>، ونظراً لافتقار البنائين الذين يستطيعون إعادة بناء الأعمدة كما كانت تستخدم جذوع الأشجار المحلية وفروعها في عمل الأعمدة والروابط الخشبية.

(٥٧) القلاع والحصون في عمان، سلطنة عمان، مكتب نائب رئيس الوزراء لشئون مجلس الوزراء، قسم الدراسات ١٤١٥ هـ/١٩٩٤ م.

(٥٨) "السلوة في أخبار كلوة" لمؤلف مجهول ولد عام ٩٠٤ هـ، تحقيق: محمد علي الصليبي، مسقط ١٩٨٥ م، ص ١٠٩.

(٥٩) عبد الحلیم، رجب: العروبة والإسلام، ص ٣٢٧.

(٦٠) Chittick, Kilwa, p. 86.

وربما كان بقاء هذا المسجد وهو المسجد الجامع في العاصمة متهدماً لأكثر من قرن من الزمان يرجع لكونه مسجداً شيرازياً شيعياً، وهو ما نذكرنا بما حدث للجامع الأزهر في العصر الأيوبي بعد زوال حكم الدولة الفاطمية الشيعية<sup>(١١)</sup>، فقد كان بيت الحسن بن طالوت المهدي الذين ورثوا حكم كلوا من الشيرازيين كانوا عربياً سنة، وتذكر حوليات كلوة أن السلطان أبا المواهب الحسن بن سليمان المهدي الذي حكم سلطنة كلوة في الفترة من (٧١٠ هـ إلى ٧٣٤ هـ / ١٣١٠ - ١٣٣٣ م) كان عربياً سنياً (وهو ثالث سلاطين هذا البيت العربي) أرسله والده لتلقي العلم في عدن ومكة المكرمة عندما كان عمره أربعة عشر عاماً<sup>(١٢)</sup>، يؤيد ذلك ما ذكره ابن بطوطة من أن أهل كلوة شافعية المذهب، وأن سلطانها أبو المظفر حسن ويكنى أيضاً أبا المواهب لكثرة مواهبه ومكارمه، وأن الشرفاء يقصدونه من الحجاز والعراق وسواهما، كما حضر ابن بطوطة صلاة الجمعة مع هذا السلطان، وشاهده خارجاً من المسجد قاصداً داره، ووصف موكبه بشيء من التفصيل<sup>(١٣)</sup>، مما يشير إلى أن سلطنة كلوة في عهد هذه الأسرة لم تكن شيعية المذهب؛ فالشيعية الاثني عشرية لا يؤدون صلاة الجمعة، لغياب الإمام الذي بوجوده تحل صلاة الجمعة باعتقادهم.

وبصفة عامة، يمكن القول بأن هذا المسجد أسس في عهد الأسرة الشيرازية الفارسية التي اختلفت الآراء في تاريخ قيامها، وإن كانت أرجح هذه الآراء أنها قامت في منتصف القرن الخامس الهجري/ السادس عشر الميلادي، وأن هذا المسجد تهدم ثم أعيد بناؤه، وأضيفت إليه منشآت جديدة في عهد الأسرة العسرية المهدلية، في عهد السلطان سليمان المطعون المهدلي ثاني سلاطين هذه الأسرة<sup>(١٤)</sup>، وذلك بناءً على التنقيبات التي تمت بإشراف المعهد البريطاني بشرق إفريقيا ما بين عامي ١٩٥٨ و ١٩٦٠ م،

(١١) عبد الوهاب، حسن: تاريخ المساجد الأثرية، القاهرة ١٩٤٦ م، ص ٥٢ - ٥٣.

(١٢) عبد الحلیم، رجب: العربية والإسلام، ص ٣٢٨.

(١٣) رحلة ابن بطوطة، ص ٢٥٨ - ٢٥٩.

(١٤) السسلوة في أخبار كلوة، ص ٣٦٣؛ ابن بطوطة، ص ٢٦٦؛ رجب عبد الحلیم: العربية والإسلام، ص ٣٤٧.

وأن الأرضية الحالية للمسجد ترجع إلى سنة ٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ م، وأن هذا المسجد تهدم بعد ذلك ثم أعيد بناؤه في عهد سليمان بن محمد (٨٢٤ - ٨٤٦ هـ / ١٤٢١ - ١٤٤٢ م)، وفي هذه الفترة تم إضافة القسم الجنوبي، وهو القسم المسقف بالقباب والأقبية (شكل ١) (٦٥).

### المسجد الصغير في كلوا كيسبولي:

مسجد صغير يرجع إلى ٨ هـ / ١٤ م<sup>(٦٦)</sup>، وينسبه البعض إلى ٩ هـ / ١٥ م<sup>(٦٧)</sup>، ويعتبر من أفضل المباني الإسلامية في كلوا التي حافظت على حالتها المعمارية، ويتوسط هذا المسجد أربع دعائم بنائية، تحمل عقود عمودية وموازية لجدار القبلة، وتقسم المسجد إلى ثلاث بلاطات الوسطى منها وهي العمودية على المحراب أعرض قليلاً من البانكتين الجانبيتين، ويسقف المربع الأوسط منها قبة بينما سقّف كل من المربع الشمالي والمربع الجنوبي بأقبية برميلية (شكل ٣).

ويزخرف القبة الوسطى ثلاث صفوف من أطباق الخزف الإسلامي المزجج، ترجع إلى فترة إنشاء المسجد<sup>(٦٨)</sup>، كما زينت أقبية المربعين الشمالي والجنوبي بأطباق خزفية مماثلة ثبتت على الجانب السفلي منها في خمسة صفوف على كل قبو، واستخدام سلطانيات وأطباق من الخزف كعنصر زخرفي مضاف نجده في العديد من المحاريب العمانية التي ترجع إلى فترات زمنية مقارنة<sup>(٦٩)</sup>.

ويكتنف القبة الوسطى المركزية من الجانبين الشرقي والغربي قبة مضلعة، بينما القباب الأربعة في الأركان خالية من التضلعات أو الزخرفة (شكل ٣)، وقد أنشئت هذه القباب بالموونة والجير بالصب في قالب، أما محراب هذا المسجد فما يزال في حالة جيدة له طاقة Hood تقوم على

(65) Chittick, Kilwa, pp. 27 - 35.

(66) Horton, East Africa, p. 206.

(67) Chittick, Kilwa, p. 161.

(68) Horton, Op. Cit., p. 206.

(69) Bandy obadbyay, Op. Cit., pp. 26 - 27.

أربعة أعمدة تحمل عقود مدببة متداخلة، زخرفت كوشاتها ببلاطات من الخزف ذي البريق المعدني، كما عثر على الكثير من قطع الخزف ذي البريق المعدني في الحفائر المجاورة لهذا المسجد<sup>(٧٠)</sup>.

وهذه الترصيعات تجدها أيضاً بكسر من الشعب المرجانية مرصعة في تصاميم زخرفية دقيقة، وهي نماذج مبكرة تشكل سمة من سمات العمارة السواحلية، وتوجد نماذج لها في "كيزماكارى" و"تومباتو"، وهناك سمة غير معتادة وهي وضع عمود مربع على قمة القبة الوسطى، وربما كان ذلك تقليداً للمقابر السواحلية<sup>(٧١)</sup>، وبناءً على دراسة مقارنة للعناصر المعمارية لهذا المسجد نسبه "تشتك" إلى الفترة الزمنية نفسها التي أنشئ فيها القسم الجنوبي من المسجد الكبير أي إلى الربع الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي<sup>(٧٢)</sup>.

ويحيط بالمسجد زيادة من الجهات الشمالية والشرقية والجنوبية، وفي الركن الجنوبي الغربي توجد البئر وخزانات المياه والميضأة والمراحيض (شكل ٣)، ويبدو أن المياه كانت مرتفعة في آبار هذه المناطق، إذ يذكر ابن بطوطة أن عمق آبارهم ذراع أو ذراعان، وأنهم يستقون منها الماء بقدرح من الخشب قد غرز فيه عود رفيق طويل الذراع<sup>(٧٣)</sup>.

#### مسجد جانجواني Jangwani

يقع هذا المسجد في الشمال الشرقي من موقع كلو كيسيواني، ويشبه في تصميمه العام المسجد السابق، ويرجح أنه يرجع إلى الفترة التاريخية نفسها، ويلاصقه من الجهة الشرقية "بيت جانجواني"، ويتكون المسجد من ثلاث بلاطات عمودية على جدار القبلة، والبلاطة الوسطى منها أوسع من البلاطتين الجانبيتين (شكل ٤)، ويتوسط المسجد أربع دعائم مئمة

(70) Chittick, Op. Cit., p. 57 – 59.

(71) Horton, Op. Cit., p. 206.

(72) Chittick, Op. Cit., p. 161.

(73) ابن بطوطة: ص ٢٥٧.

الأضلاع، تم تقوية الدعامتين الجانبيتين منها بإحاطتهما بغلاف من البناء في القرن الثامن عشر.

وتقسم هذه الأعمدة المسجد إلى ست مساحات مربعة كانت تسقفها القباب المتهدمة حالياً<sup>(٧٤)</sup>، وبينما ما يزال الجانب الشرقي من المسجد، والمنشآت المجاورة في حالة معمارية جيدة، فقد تخرب الجانب الغربي من المسجد، وقد بني هذا المسجد على تلة مرتفعة.

ويبرز المحراب عن جدار القبلة في كتلة مرتفعة، ويحيط بالمسجد من الجهات الشرقية والشمالية زيادة، وله مدخل في كل زيادة منها، ويصعد إلى المسجد من خمس درجات تتوسط الزيادة الشرقية حيث تتوسطها البئر والميضة والمنزل الكبير المجاور.

ويلاحظ على هذا المسجد تدعيم جدار القبلة إلى الشرق من المحراب بجدار مساند ملاصق له من جهة القبلة، ثم أضيف جدار آخر مواز له (شكل ٤)، ويدخل إلى المسجد من باب في الجدار الجنوبي أو من حجرة طويلة ضيقة تمتد بطول الجدار الشرقي.

وعلى يسار الدرج المؤدي إلى الزيادة أو الحجرة التي تتقدم الجدار الشرقي المذكور توجد ساحة الوضوء مرصوفة بالحجر الرملي، وعلى جانبي الدرج جرار فخارية مثبتة في الأرض بالبناء بواقع اثنتين على اليسار وواحدة على اليمين، ويطلق عليها باللغة السواحلية "ميتونجي" Mitungi، وقد أعدت هذه الجرار لغسيل الأقدام قبل الدخول إلى المسجد، وكانت تملأ من البئر خارج ساحة الوضوء (شكل ٤)، وهي من الأمثلة القليلة الباقية، ويتساءل تشيتك عن السبب لعمل مثل هذه التجهيزات لغسيل الأقدام<sup>(٧٥)</sup>، غير أننا نرجح أن كثيراً من أبناء هذه المناطق في ذلك الوقت كانوا لا يستعملون مما استدعى مثل هذا الإجراء، يؤكد ذلك ما ذكره ابن بطوطة عن مسجد جزيرة "ممباسا" أن الأرض حول البئر والمسجد مسطحة، فمن أراد دخول المسجد غسل رجليه ودخل، ويكون على باب المسجد قطعة

(74) Chittick, Op. Cit., p. 167.

(75) Chittick, Op. Cit., p. 168.

حصير غليظ يمسح بها رجليه، ومن أراد الوضوء أمسك القدح بين فخذه،  
وصب على يديه وتوضأ، وجميع الناس يمشون حفاة الأقدام<sup>(٧٦)</sup>.  
والبئر الموجودة في ساحة هذا المسجد دائرية قطرها حوالي ١,٥٨  
متر، على عكس بقية آبار "كلوا" التي غالبًا ما تكون مربعة<sup>(٧٧)</sup>، ويرفع الماء  
من البئر إلى حوض على تلة مرتفعة بمقدار ٩٠ سم، يجري منها الماء في  
قناة إلى الميضاة، وهو ما نجده في المساجد العمانية، حيث يرفع الماء من  
القلج أو البئر إلى منصة مرتفعة مجاورة للبئر، ومنها إلى قناة الوضوء  
(شكل ٥)<sup>(٧٨)</sup>، والساحة التي تحتوي على منطقة الوضوء بركانها الجنوبي  
حوض على مصطبة مرتفعة يصعد إليها بدرج من ثلاث درجات، وعلى  
المنطقة بقايا درج كان يؤدي إلى سطح المسجد حيث يصعد المؤذن للإعلان  
عن الصلاة، ومن ثم فهي تؤدي وظيفة المنذنة، وهي أيضًا سمة معمارية  
من سمات المساجد الأياضية في عمان (لوحة ١)، وإلى الجنوب منها  
وملاصقة لها منصة أخرى، حيث يرتد الجدار إلى الجنوب (D)، وهي منصة  
مبنية بقطع مربعة من الأحجار ولها باب يؤدي إليها، ويذكر "تشتيك" أنه  
يطلق عليها "برزة" وأنها لها باب ومن المفروض أن تكون مسقفة وإن كان  
يعوزه الدليل الأثري على ذلك<sup>(٧٩)</sup>، ونضيف أن البرزة مصطلح معروف في  
عمارة جنوب وجنوب شرق الجزيرة العربية حيث توجد "برزة شتوية"  
و"برزة صيفية" وما زال هذا المصطلح مستخدمًا حتى الآن ويطلق على  
المجلس أو قاعة الاستقبال<sup>(٨٠)</sup>.

وبالإضافة إلى المساجد السابقة فقد كانت هناك مساجد صغيرة في  
"ماليندي" و"كيباكوني" و"مونجي" تخرب معظمها ودرس بقاياها Chittick  
و Green Ville و Garlake، وقد كانت كلها مساحات بسيطة، فمسجد

(٧٦) ابن بطوطة: ص ٢٥٧.

(٧٧) Chittick, Op. Cit., p. 163.

(٧٨) Costa, Paolo M., Historic Mosques and Shrines of Oman.  
BAR, Internaatinal Series 938, 2001, p. 142.

(٧٩) Chittick, Op. Cit., p. 169.

(٨٠) القلاع والحصون في عمان، ص ١٥٦.

ماليزي الذي يرجع إلى ٩ ٥/٥ م مجرد حجرة مستطيلة بها ثلاثة أبواب في أضلاعها الشرقية والغربية والجنوبية<sup>(٨١)</sup>.

والواقع أن سلطنة كلوا التي عرفت باسم "دولة الزنج" ازدهرت ازدهاراً كبيراً منذ القرنين ٧، ٨ ١٣/٥، ١٤ م حين استطاع داود بن سليمان سلطان كلوة (١١٣٠ - ١١٧٠ م) أن يحل محل مقديشو في تجارة الذهب وبالتالي صارت الزعامة السياسية والاقتصادية لكلوا وعاشت كلوا أزهى عصورها، وانعكس ذلك على عمارتها وتحولوا من البناء بالمواد التقليدية التراثية من خشب البامبو والطين إلى بناء البيوت بالخشب فكانوا يقطعونه إلى ألواح عريضة للجدران والأبواب، وبدأ عرب كلوة في استخدام الأحجار المشذبة وغير المشذبة في بناء بيوتهم، ودخلت أساليب جديدة في العمارة لم تكن مألوفة من قبل مثل القباب والقبوات والعقود، فقد كانت عمارتها من الخشب عندما زارها ابن بطوطة سنة ١٣٣٢ م، وذكر أن "مدينة كلوا من أحسن المدن وأتقنها عمارة وكلها بالخشب، وسقف بيوتها الديس، وهو نوع من القصب"<sup>(٨٢)</sup>.

وبصفة عامة أصبحت كلوا سوقاً تجارياً كبيراً لمنتجات الصين والهند منذ القرن الثالث عشر وكان تجار تلك الجهات يجلبون إليها الخزف الصيني والحريير، وكميات ضخمة من التوابل، ولجأ سلاطين كلوا إلى سك النقود خاصة النحاس، في كميات ضخمة لتكون أساساً للتعامل بدلاً من الودع الذي كان يستخدم من قبل بمثابة عملة لتبادل السلع<sup>(٨٣)</sup>، وقد عثرت حفائر المعهد البريطاني على العديد من العملات والقطع الخزفية المستوردة المزججة والغير مزججة التي تؤكد هذه الصلات التجارية<sup>(٨٤)</sup>.

(81) Chittick, Op. Cit., p. 171.

(82) ابن بطوطة: ص ٢٥٨.

(83) الحويري: ساحل شرق إفريقيا، ص ١٢١.

(84) Chittick, Op. Cit., Vol. II, pp. 269 - 302.

### مساجد مقديشيو:

مقديشيو عاصمة الصومال الحديث، ميناؤها الرئيسي على ساحل المحيط الهندي، وظلت فترة طويلة واحداً من أهم موانئ شرق إفريقيا، بل كانت الميناء الآمن والأول جنوب رأس خافون Hafun، وأول نكر لهذه المدينة نجده عند ياقوت الحموي سنة ٦٠٨ هـ / ١٢١٠ م، الذي ذكر عنها في معجم البلدان "مقديشيو أول مدينة في بلاد الزنج في جنوب اليمن على ساحل البحر، وأهلها كلهم غرباء ليسو بسودان، ولا ملك لهم إنما يدبر أمورهم المتقدمون على اصطلاح لهم"<sup>(٨٥)</sup>، وقد كانت مقديشيو مهجراً للعرب منذ أقدم العصور، حيث وجدوا في سواحل إريتريا والصومال لقربها من بلادهم فهاجرت إليها جماعات عربية كثيرة استوطنت الساحل، ولم تتوغل في الداخل حيث السكان الأصليين، ومن ثم ظهرت التأثيرات العربية بشكل واضح وكبير على عمارة المناطق الساحلية.

ثم زارها ابن بطوطة سنة ٧٢٩ هـ / ١٣٢٩ م ووصفها بأنها "مدينة متناهية الكبر وأهلها لهم جمال كثيرة ينحرون منها المنين في كل يوم، ولهم اغنام كثيرة، وأهلها تجار أقوياء، وبها تصنع الثياب المنسوبة إليها التي لا نظير لها، ومنها تحمل إلى ديار مصر وغيرها"<sup>(٨٦)</sup>.

وفي ذلك الوقت كانت مقديشيو قد أصبحت من أكثر مناطق شرق إفريقيا ازدهاراً، كما تشير إلى ذلك الأدلة الأثرية العديدة، فقد عثر على عدد كبير من النقوش في جبانات شانجاتي Shangani وحمرويني Hamar Weyne وهي أدلة ترجع إلى الفترة من (٦١٤ إلى ٧٦٥ هـ / ١٢١٧ - ١٣٦٣ م)<sup>(٨٧)</sup>، ومن بين ثمانية وعشرين مسجداً أثرياً كانت بهذه المنطقة لم يتبق سوى ثلاثة مساجد فقط بها أجزاء أثرية، ومنها الجزء القديم المتبقي من الجامع الكبير "جاميا" Jamia في حي حمرويني<sup>(٨٨)</sup>.

(٨٥) الحموي: شهاب الدين ياقوت أبي عبد الله، معجم البلدان، دار صادر بيروت، ص ١٩٧٩، ج ٣، ص ١٧٣.

(٨٦) ابن بطوطة: ص ٢٥٣.

(٨٧) Horton, Op. Cit., p. 200.

(٨٨) عبد الحلیم، رجب: العروبة والإسلام، ص ٢٦٥.

### جامع حبروييني:

عبارة عن قاعة صلاة مستطيلة الشكل يتوسطها صف من الأعمدة، مع حجرة في الجانب الغربي من المسجد، وربما كان ذلك إعادة بناء لرواق الصلاة القديم الذي يرجع إلى القرن ١٣م<sup>(٨٩)</sup>، وإن كان وصف ابن بطوطة يشير إلى أن هذا المسجد كان من طراز المساجد الجامعة ذات الصحن المكشوف والأروقة، وبه مقصورة مخصصة لصلاة السلطان، فقد أورد في معرض حديثه عن هذا المسجد "وأثينا الجامع فصلينا خلف المقصورة، فلما خرج الشيخ<sup>(٩٠)</sup> (السلطان) من باب المقصورة سلمت عليه مع القاضي، فرحب وتكلم بلسانهم مع القاضي، ثم قال بلسان العربي: قدمت خير مقدم، وشرفت بلادنا وأتستنا، وخرج إلى صحن المسجد فوقف على قبر والده، وهو مدفون هناك فقرأ ودعا"<sup>(٩١)</sup>، مما يشير إلى وجود ضريح في صحن المسجد. وهي ظاهرة نجدها في الكثير من المدارس اليمينية التي يوجد بها قبر المنشي، أو التي ربما كان الهدف الأول من إنشائها أن تشتمل على مقبرة تضم رفات السلطان أو أحد أقاربه الأجزاء، نذكر منها المدرسة السيفية بتعز، التي أنشأها السلطان المعز إسماعيل بن طغتكين بن أيوب لينقل إليها رفات والده، الذي كان قد توفى بمنصورة جنوة، والمدرسة الأتابكية جنوب غرب مدينة تعز، ودفن بها السلطان المنصور نور الدين المنصور بن رسول، وكذلك المدرسة الأشرفية في تعز، والتي أنشأها الأشرف إسماعيل بن الملك الأفضل بن الملك المجاهد الرسول سنة ٨٠٠ هـ، وتتوسط المدرسة صحن المدرسة<sup>(٩٢)</sup>.

(٨٩) Horton, Op. Cit., p. 205.

(٩٠) لقب "الشيخ" كان يطلق على سلطان مقدشو، وما زال هذا اللقب (الشيخ) يطلق على المنحدرين من الأسرة الحاكمة في كل من أريتريا والصومال، وقد أنسار ابن بطوطة إلى هذا اللقب حين ذكر أن السلطان يلقب بالشيخ، وذلك حين طلب منه أن يتوجه للسلام ويضيف ابن بطوطة "وعادتهم أن يقولوا لسلطان الشيخ. فقلت له إذا نزلت توجهت إليه، فقال لي: إن العادة إذا جاء الفقسيه أو الشريفي، أو الرجل الصالح لا ينزل حتى يرى السلطان، فذهبت معهم إليه كما طلبوا؛ ابن بطوطة: الرحلة، ص ٢٥٣.

ابن بطوطة: الرحلة، ص ٢٥٥.

محمد الناصر، محمد: المدارس اليمينية، الإكليل، السنة الثالثة، العدد الأول،

١٤٢ - ٩٨ - ١٤٢.

أما المسجد الحالي فهو نتاج لإعادة البناء سنة ١٩٣٠م، ولم يتبق من آثاره القديمة سوى المدخل ذي العقد المفصص والمنذنة الأسطوانية المبنية بالأحجار المرجاتية، وتعتبر هذه المنذنة أقدم آثار مقديشو، إذ ترجع إلى تاريخ بناء المسجد القديم في أول محرم سنة ٦٣٦ هـ/١٢٣٨م، كما يشير إلى ذلك نص تأسيس كان مثبتاً على أحد أبواب المسجد القديم<sup>(٩٣)</sup>، ويحتوي هذا المسجد على دعائم جانبية للجدران Side Pilasters ، أما محراب هذا المسجد فهو محراب ذو زخارف جصية مثبت بها أطباق من البورسلين على غرار المحاريب العمانية<sup>(٩٤)</sup>، ويتوج حنية هذا المحراب عقد متعدد الفصوص ذات الأشكال النباتية، ويرجع هذا المحراب تقريباً إلى القرن الثامن عشر وعليه كتابات كوفية، ربما تكون معاصرة للمنذنة وأعيد استخدامها في هذا المحراب<sup>(٩٥)</sup>.

#### جامع فخر الدين:

يُعتبر جامع فخر الدين هو المسجد السواحلي الوحيد الذي يرجع إلى العصور الوسطى الذي بقي بدون تغييرات، وما يزال مستخدماً حتى الآن. وينسب بناء هذا الجامع إلى أول سلاطين مقديشو أبو بكر فخر الدين<sup>(٩٦)</sup>، وعليه نص تأسيس بالحفر البارز على الرخام يرجع إلى سنة ١٢٦٧ هـ/١٢٦٩م، وهو مثال فريد في تخطيطه على الساحل الشرقي لإفريقيا، إذ يختلف تخطيطه عن بقية المساجد السواحلية، ومسقط هذا المسجد مستطيل الشكل بداخله ساحة صلاة مربعة تتوسطها قبة مركزية (شكل ١)، وهذه القبة تتوسط سقف مسطح محمول على روافد خشب، وهي قبة قمعية الشكل Sugar Loaf Type، بالإضافة إلى قبة أخرى تغطي الردهة أو السقيفة التي تتقدم المسجد، أما قبة الردهة أو السقيفة فهي قبة مخروطية الشكل ذات ثمانية جوانب تشبه خيام الباراسول Parasol Tents (خيام

(٩٣) الحويري: ساحل شرق إفريقيا، ص ١٠١.

(٩٤) Faolo Costa، Historic Mosques، p. 223.

(٩٥) Horton، Op. Cit.، p. 205.

(٩٦) الحويري: ساحل شرق إفريقيا، ص ١٠١.

مضلعة تشبه مظلات النساء)، أما القبة القمعية التي تتوسط قاعة الصلاة المكونة من ثلاث بلاطات فهي تشبه قباب المقابر السودانية في ذلك الوقت، وهذا الطراز من القباب القمعية الشكل أسلوب محلي انتشر في العديد من مساجد شرق إفريقيا ومنها مسجد شيلا بجزيرة لامو (لوحة ٢) في كينيا. وتخطيط هذا المسجد يتكون من مستطيل ينقسم إلى قسمين، قسمه الجنوبي صحن مكشوف تشغل ضلعه الجنوبي، المقابل لجدار القبلة حجرات تطل على الصحن المكشوف، وفي ثلثه الشمالي بانكة غير مسقفة تتوسطها القبة المضلعة المؤدية إلى رواق الصلاة المكون من ثلاث بلاطات، وتتوسطه القبة المخروطية المذكورة، في شكل يتناقض مع القبة المضلعة المقابلة لها، والتي تغطي السقيفة (شكل ٦) مجسدة الجمع بين العناصر المعمارية المحلية والوافدة في آن واحد، ويبرز المحراب في كتلة مستطيلة عن جدار القبلة.

وقد كانت الروافد الخشبية Rafters تعد في شكل ثماني، ويبرز جزء منها خارج السقف المسطح، وهي تقاليد معمارية محلية تظهر بشكل أكبر في مساجد غرب إفريقيا التي لم يقع على عمارتها تأثير خارجي كبير مثل مساجد شرق إفريقيا (انظر: لوحة ٣ لمسجد جينية الكبير في مالي). والأبواب الخارجية لهذا المسجد أربعة أبواب، اثنان في الضلع الشمالي وهو جدار القبلة، والثالث في الطرف الشمالي من الضلع الشرقي للمسجد، أما الباب الرابع فيتوسط الضلع الجنوبي للمسجد ويؤدي إلى الصحن المكشوف، وتؤدي الأبواب الموجودة في جدار القبلة إلى حجرتين مستطيلتين تكتنفان برواق الصلاة من الجهتين الشرقية والغربية، وتفتحان على الصحن المكشوف وعلى رواق الصلاة في الوقت نفسه (شكل ٦).

والأبواب الخارجية في إطار من دخلات متعددة تنتهي على شكل حلية معمارية محدبة، أما المدخل الرئيسي في الضلع الجنوبي فهو مغشى بالرخام المزخرف بالأشكال النباتية والكتابية، ويعد واحداً من أفضل المداخل الباقية على الساحل كله، إذ تغطيه بالكامل النواح رخامية مستوردة مزخرفة بأشكال نباتية منقذة بالحفر البارز، والسماط الزخرفية للأبواب وثيقة الصلة بمسجد "حسوني كبوا" في كلوا.

والمحراب رغم إعادة بناؤه في القرن ١٨م على شكل حنية مستطيلة وعقد إهليلجي Elliptical ما يزال يحتوي على اللوحة الرخامية الأصلية بزخارفها المشابهة لإفريز من كلوا، وهي بلاطة عليها اسم المنشئ وتاريخ الإنشاء<sup>(٩٧)</sup>.

#### لامو:

تقع لامو الآن في كينيا، وهي مدينة تمثل أيضاً العمارة السواحلية على شواطئ شرق إفريقيا<sup>(٩٨)</sup>، وقد تعرضت هذه المنطقة لهجرات عربية مبكرة منذ بداية العصر الإسلامي حين استقبلت جماعات من أهل الشام فراراً من سياسة الحجاج بن يوسف الثقفي، وهي الفترة نفسها التي هاجر فيها من عمان سليمان وسعيد ابنا عباد الجلندي فراراً من جيوش الحجاج وفي ذلك يذكر السالمي أنهما حملاً ذراريهما وسوادهما ومن خرج معهما من قومهما ونحقا ببلد من بلاد الزنج<sup>(٩٩)</sup>.

ويميل هورتون (Horton) إلى الاعتقاد بأن الأجزاء الشمالية والجنوبية من المدينة كانت ممتلئة بالسكان في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، وهناك وصف للمدينة يرجع إلى سنة ١٤٤١م سجل أن أجزاء من هذه المدينة كانت تغطيه الرمال حتى ذلك التاريخ<sup>(١٠٠)</sup>. ويرجع معظم أجزاء المدينة الحالية إلى القرن الثامن عشر، وبها أربعة وعشرين مسجداً أثرياً ما تزال قيداً الاستعمال، والكثير منها يحتوي على

(97) Horton, Op. Cit., p. 205.

(98) Allen, James Vere and Wilson, Thomas H., "Sawahili Houses and Tombs of The Coast of Kenya" in Art and Archaeology, Research Papers, 12, 1979.

(99) السالمي: أبي محمد عبد الله بن حميد، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، مكتبة إشاعت الإسلام، دهلي، الهند (د.ت)، ج١، ص ٥٣؛ الحويري: المرجع السابق، ص ١٠٥.

(100) Horton, Op. Cit., p. 205.

كتابات، وهي ليست نصوص تأسيس بل كتابات إضافات أو تجديد على غرار ما نجده في المساجد العمانية<sup>(١٠١)</sup>.

وأقدم مساجد لامو هو مسجد "ابواني" Wapwani ويرجع إلى سنة ٧٧٢ هـ/١٣٧٠ م، وأعيد بناؤه في القرن ١٨ م، أو بداية القرن ١٩ م، وهي الفترة التي ترجع عليها معظم مساجد لامو، وعليها كتابات بتواريخ ما بين ١٧٣٣ م، ١٨٨٠ م، وفي بداية القرن العشرين تعرضت لامو لحركة إصلاح ديني قادها الأشراف الكوموريين انتهت ببناء العديد من المساجد من طراز معماري غير تقليدي، كما أدخلت تعديلات كثيرة على المساجد القائمة، أما المساجد التي أنشأوها فقد أخذت من العديد من الطرز الإسلامية، وهي ما يمكن أن نطلق عليه طراز إسلامي شامل Pan Islamic Style<sup>(١٠٢)</sup>.

#### المسجد الجامع لامو:

يرجع هذا المسجد إلى سنة (٩١٧ - ٩١٨ هـ/١٥١١ - ١٥١٢ م)، وهو عبارة عن قاعة صلاة بها خمسة صفوف من الدعامات المثمنة المشطوفة وسقف بسقف مسطح تتوسطه شخشيخة، وبه ساحة مخصصة للوضوء، شأنه في ذلك شأن كل المساجد السواحلية، وللأسف فقد أعيد بناء هذا المسجد كلية في القرن التاسع عشر، ويتوسط جدار القبلة محراب مجوف يتوجه عقد ثلاثي الفصوص يقوم على دعامتين جانبيتين وجواره المنبر الخشبي<sup>(١٠٣)</sup>.

#### جامع "نغنالالو" Nnalalo

ومن مساجد لامو الأثرية جامع "نغنالالو" وهو من نماذج المساجد الصغيرة، ورواق الصلاة به أربعة صفوف من الأعمدة ذات الحواف المشطوفة، وهي توسعة للأصل الذي كان يحتوي فقط على ثلاثة صفوف

(١٠١) بلد يسيرا، إيروس، الكتابات في المساجد العمانية القديمة، مسقط ١٩٩٤ م، إشارات عديدة.

(102) Horton, Op. Cit., p. 207.

(103) Horton, Op. Cit., p. 206.

من الأعمدة<sup>(١٠٤)</sup>، وهذا المسجد شأن بقية مساجد لامو له ساحة وضوء في الجهة الجنوبية، ووجود ساحة الضوء تتقدم المسجد تأثير من مساجد شرق الجزيرة العربية (مساجد عمان)<sup>(١٠٥)</sup>.

ومحراب المسجد يتوجه عقد ثلاثي الفصوص يقوم على دعائم جانبية، وتعلوه كتابات تسجل إضافة هذا المحراب في فترة لاحقة على بناء المسجد، وهو ما نجده في مساجد عمان التي تعلو محاربيها نصوص إهدائية تشمل أسماء من قاموا بإهداء المحراب، بل وصناع المحراب في كثير من الأحيان، بينما يفتقد المسجد نص تأسيس يسجل تاريخ إنشاء المسجد نفسه<sup>(١٠٦)</sup>.

#### شبيلا ومسجدها الجامع:

شبيلا Shela مستوطنة كينية صغيرة تقع في جزيرة لامو، إلى الجنوب من مدينة لامو نفسها، وبها مسجد جامع يرجع إلى بداية القرن التاسع عشر، وما يزال هذا المسجد مقامة شعائره، وإن أعيد ترميمه حديثاً<sup>(١٠٧)</sup> (لوحة ٤)، وتحتوي قاعة الصلاة على أربع وعشرين دعامة، وهي دعائم حجرية مثمّنة تنتهي بشكل مربع يحمل جسور خشبية يقوم عليها السقف المسطح الجامع، وتؤدي كل من بلاطاته الشرقية والغربية إلى ساحة الضوء الجنوبية، وبها صهريج خارجي، كما تؤدي ساحة الضوء إلى زيادة في الجهتين الشرقية والغربية يدخل منها إلى المسجد عن طريق عقود بعضها نصف دائري وبعضها الآخر مفصص متأثر بأشكال العقود الهندية (لوحة ٤).

(104) Horton, Op. Cit., p. 206.

(105) النويصر، محمد بن عبدالله: خصائص التراث العمراني في المملكة العربية السعودية، دار الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م، ص ص ٥٢ - ٥٤.

Paolo Costa, Historic Mosques, pp. 147- 149.

(106) بلد يسيرا، المرجع السابق، ص ٨٤ - ٨٨.

(107) Horton, Op. Cit., p. 207.

وفي الركن الشمالي الغربي توجد منذنة قمعية الشكل (لوحة ٢) داخلها درج حلزوني وتنتهي بقمة مخروطية يتوجها هلال، ويضئ المنذنة نوافذ من قياسات مختلفة، بعضها كبير، وبعضها الآخر صغير، ويعلو المحراب كتابات تذكارية ترجع إلى سنة ١٨٢٩م، ويتوجه عقد ثلاثي الفصوص يقوم على دعائم جانبية، أما المنبر الخشبي فعليه كتابات أشار هورتون إلى أنها ترجع إلى سنة ١٨٢٠م<sup>(١٠٨)</sup>.

وهكذا يجمع هذا المسجد بين التأثيرات الوافدة من شرق الجزيرة العربية مثل ساحة الوضوء التي تتقدم المسجد، والكتابات التسجيلية على المحراب، والتأثيرات الهندية ممثلة في المحراب والعقود المفصصة التي نجدها في المحراب وفي الجهة الشرقية من المسجد بالإضافة إلى الأساليب المحلية ممثلة في المنذنة القمعية ونوافذها المتعددة<sup>(١٠٩)</sup>.

#### مسجد ريادا Riadah Mosque (١٩٠٣-١٩٠٢)

أما مسجد ريادا في جزيرة لامو بكينيا أيضاً فيكاد يكون تجسيداً للتأثيرات الهندية (لوحة ٥) التي نقلها المستوطنون الهنود إلى الساحل الشرقي لإفريقيا وإلى ساحل جنوب شرق الجزيرة العربية في الوقت نفسه، حيث نجد العديد من المساجد في محافظة ظفار بعمان تعكس التأثيرات الهندية، مثل العقود المفصصة، والمآذن القصيرة المزودة التي تكتنف المدخل، والجواسق القصيرة التي تسقفها قبة كروية أو بصلية، وتزيد أركان المسجد أو واجهاته الخارجية. ومنها مسجد "الحداد القديم" بقرية الدهاريز (ظفار) الذي يتشابه مع مسجد "ريادا" في كثير من عناصره المعمارية (لوحة ٦)، وهو مسجد يرجع إلى سنة ١٢٢٨ هـ / ١٨٠٦م<sup>(١١٠)</sup>، فكلتا

لم ينشر هورتون نص الكتابات التي أشار (108) Horton, Op. Cit., p. 207. إلى وجودها على المنبر والمحراب

(109) Deasi, Zainddin, Mosques of India, Dehli: 1966, pp. 37-45; Horton, Op. Cit., p. 207.

(110) دليل المساجد الأثرية في سلطنة عمان، وزارة الأوقاف، مسقط ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥م، ص ٣٠٢.

المنطقتين تعرضت للتأثيرات الوافدة نفسها، بحكم عوامل التجارة ثم الهجرة والاستقرار.

### زنجبار:

زنجبار كلمة مركبة من "زنج" بالعربية "وبار" بالفارسية وتعني ساحل، أي ساحل الزنج، وتكتب في اللغة السواحلية على ضروب شتى لنجويه، لسنجويه، أنجوية، منجويه، بنجويه، وهي جزيرة تبعد عن الساحل الإفريقي بحوالي خمسة وعشرين ميلاً، وتقع جنوب جزيرة بمبا (الجزيرة الخضراء) بحوالي ٣٢ - ٣٥ ميلاً، وشمال دار السلام بمسافة ٢٩ ميلاً<sup>(١١١)</sup>.

وتتكون زنجبار الحالية من ثلاث جزر رئيسية هي زنجبار وبمبا ومافيا، وعدد آخر من الجزر الصغيرة وجميعها متشابهة في مظاهرها الطبيعية والبشرية<sup>(١١٢)</sup>، وقد دخل العرب والإسلام إلى هذه الجزر مبكراً منذ سنة ٦٥ هـ/٦٨٤م، وأثنت بها المباني الحجرية وسكت النقود النحاسية<sup>(١١٣)</sup>.

وقد ورد وصف للجزيرة عام ٦٢٢ هـ/١٦٢٦م على يد أحد التجار الصينيين الذي وصل إلى هذه المنطقة في ذلك الوقت وقال أن سكانها من العرب وحكامها من العرب أيضاً<sup>(١١٤)</sup>، وقد كان للوجود العربي ممثلاً على وجه الخصوص في الدولة العمانية الإفريقية (١٦٥٠ - ١٨٦٠) أثر كبير في نقل التأثيرات العربية إلى منطقة إفريقيا الشرقية، وهي مجموعة المدن والجزر الساحلية وأهمها زنجبار وكلوا وممبаса، ويطلق على هذا المجموع الساحلي الذي يبلغ طوله حوالي ١٥٠٠ كم تقريباً اسم منطقة زنجبار<sup>(١١٥)</sup>.

(١١١) عبد الحلیم، رجب: العروبة والإسلام، ص ٣٨٦، حاشية ٥٥.

(١١٢) أوليفر روتلاند وجون ليخ: تاريخ إفريقيا، ترجمة: عقيلة محمد رمضان، مراجعة: أحمد صوار، القاهرة ١٩٦٤م، ص ٤٠؛ الحويري: المرجع السابق، ص ١١٤.

(١١٣) غنيمي، رأفت: دور عمان في بناء حضارة شرقي إفريقيا، حصاد ندوة الدراسات العمانية، مسقط ١٩٨٠، ج ٣، ص ١٤٨ - ١٥٠.

(١١٤) عبد الحلیم، رجب: العمانيون والملاحة والتجارة، ص ٢٤٣ - ٢٤٤.

(١١٥) غباشي: حسين عبيد غانم، عمان الديمقراطية الإسلامية (١٥٠٠ - ١٩٧٠)، (دار الجديد بيروت ١٩٩٧م، ص ١٨٨).

وتوصل العمانيون إلى إقامة إمارات عربية عدة في هذه المنطقة، فقد أنشأت قبيلة الحرث مدينة "مفديشو" و"برافا" حوالي سنة ٩٢٤م، وتمتع مجموع هذه الإمارات بعيداً عن خصومات الدولة العربية الإسلامية وصراعاتها الداخلية باستقرار سياسي واقتصادي مزدهر استمر لأكثر من سبعة قرون حتى السيطرة البرتغالية سنة ١٥٠٣م، واعتراف سكان زنجبار بسلطة البرتغال على الجزيرة، وموافقتهم على دفع الجزية السنوية، واستطاع الغزاة البرتغاليون احتلال المدن الساحلية وتدمير تجارتها، ودخلت المنطقة في حالة من التخلف لم تتخلص منها إلا في القرن السابع عشر حين استطاع الإمام العماني سلطان بن سيف الأول (١٦٤٤ - ١٦٨٨م) يطلب من التجمعات العمانية والإفريقية طرد البرتغاليين وتعيين ولاية من الشخصيات العمانية عهد إليهم إدارة جزر زنجبار وبامبا وممباسا، واهتمت الدولة العربية بتوطيد الصلات التجارية والثقافية مع جناحها الإفريقي<sup>(١١٦)</sup>.

وفي عصر أسرة البوسعيد (الأسرة الحاكمة في عمان حتى الوقت الحاضر) استطاع سعيد بن سلطان (١٨٠٧ - ١٨٥٦م) تعزيز قبضته على ساحل شرق إفريقيا واتخذ من زنجبار عاصمة ثانية لمملكه، وقد توفي هذا السلطان سنة ١٨٥٦م، ودفن في حديقة قصره بزنجبار<sup>(١١٧)</sup>، ونتيجة لهذا الوجود العربي على أرض زنجبار أصبح سكانها لا يختلفون كثيراً في حياتهم عن حياة عرب جنوب شبه الجزيرة العربية، وانتشر بناء المساجد والكتاتيب، حتى ذهب البعض إلى القول بأن كل مجموعة سكنية مكونة من ستة منازل كان لها مسجد يؤدي فيه الناس الصلاة، حيث اعتاد الناس ألا يصلون في العراء، فكان الواحد منهم لا يصلي دون سقف يرتفع فوق رأسه، أي أن الصلاة لا تتم إلا داخل مسجد<sup>(١١٨)</sup>، حتى بلغ عدد المساجد في

(١١٦) غياشي: المرجع السابق، ص ١٩٠.

(١١٧) انظر عن عمان وشرق إفريقيا: رودلف سعيد روث، السيد سعيد بن سلطان (١٧٩١ - ١٨٥٦م) سيرته ودوره في تاريخ عمان وزنجبار، الدار العربية للموسوعات، بيروت ١٩٨٨م، ص ٨٩ - ١٣٧؛ غياشي: المرجع السابق، ص ١٩١؛ الحويصري: المرجع السابق، ص ١١٤ - ١١٥؛ مال الله علي بن حبیب: ملامح من تاريخ عمان، ترجمة: محمد محمد كامل، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة (د.ت)، ص ٢٥ - ٢٦.

(١١٨) عبد الحليم، رجب: العروبة والإسلام، ص ٣٩٥.

مدينة زنجبار وحدها في عصر سعيد بن سلطان في منتصف القرن التاسع عشر خمسين مسجداً أوقفت عليها العديد من الأوقاف لإدارتها وإقامة شعائرها.

ويذكر رودلف روث أن الساحل الشرقي لإفريقيا خير ممثل لبقعة واسعة من الأرض تضم أنواعاً لا حصر لها من الشعوب والأجناس المتباينة، بل والمشردة أيضاً في بعض الأحيان، وأنه منذ نهاية القرن السابع للميلاد كان العرب وخاصة أهل عمان هم غالبية المهاجرين إلى هذه المناطق<sup>(١١٩)</sup>.

وقد تميزت العلاقة بين مختلف الطوائف المسلمة في زنجبار بالتسامح والسلام والتعاون حتى أن كثيراً من طلاب العلم والدراسات الدينية الإباضية تلقوا دروسهم على أيدي علماء من السنة، وكذلك طلاب من الشيعة الإسماعيلية والشيعة الإثنا عشرية، وقد ساعد على تدعيم هذا المناخ وانتشار روح التسامح منهج الدولة السياسي المبني على التسامح الديني، وعدم تدخل الدولة في شئون الدين<sup>(١٢٠)</sup>.

ونتيجة لهذا التسامح وعلى الرغم من أن الطبقة الحاكمة وكبار التجار والأثرياء في زنجبار كانوا من أتباع المذهب الإباضي<sup>(١٢١)</sup>، ونتيجة لهذه الروح السمحة، وعدم التفرقة بين أبناء البلد الواحد من عرب وغير عرب، وجد بالإضافة إلى المساجد الإباضية العديد من المساجد للسنة العرب

(١١٩) رودلف روث: سعيد بن سلطان، ص ٨٩.

(١٢٠) عبدالله، حسن محمد: الحركة المعمارية في زنجبار (١٨٣٢ - ١٨٨٨م).

أبو ظبي، المجتمع الثقافي ٢٠٠١م، ص ٨٣.

(١٢١) الإباضية: ظهرت الإباضية كفرقة إسلامية مميزة باصولها وأتباعها في الثلثين الأخيرين من القرن الأول الهجري نتيجة لظروف سياسية واجتماعية أدت إلى اختلاف أمة محمد (ﷺ) حول بعض القضايا في الفقه والسياسة، ويسرى البعض أن الأصول السياسية للإباضيين ظهرت في اجتماع السقيفة حين قالوا بجواز الإمامة في غير قريش، وهي أول مسألة يختلف عليها المسلمون بعد وفاة الرسول (ﷺ)، ويذكر المستشرق تادوز لويسكي في دائرة المعارف الإسلامية أن ظهور الإباضية كان سنة ٦٥ هـ/٦٨٤م عندما انفصل عبد الله بن إباض عن المتطرفين الخوارج بمناسبة الموقف الذي يجب اتخاذه تجاه أهل التوحيد الآخرين، وإن كانت جذور الإباضية أقدم من ذلك. وهي تسمية أطلقها الأمويون على أصحاب عبد الله بن إباض نسبة إلى أبيه إباض بن تميم، وينتشر أتباع هذا المذهب في عمان وساحل شرق إفريقيا والمغرب العربي، راجع؛ عدون جهلان: الفكر السياسي عند الإباضية، الضامري للنشر، مسقط ١٩٩١م، ص ٢٧ - ٤٨؛ أبي ربيع سليمان البروني: مختصر تاريخ الإباضية، الضامري للنشر، مسقط ١٩٩٥م.

والسنة من الهندود والأفغان، ومساجد الطوائف الشيعية المختلفة، وفي دراسة للحركة المعمارية في زنجبار<sup>(١٢٢)</sup>، أحصت هذه الدراسة في مدينة زنجبار وحدها واحداً وخمسين مسجداً، نجد من بينها ثلاثين مسجداً للسنة منها عشرة مساجد للسنة أنشئت بمعرفة الأباضيين، وأربعة عشر مسجداً إباضياً، وسبعة مساجد للشيعية من إسماعيلية وبهرة وإثنا عشرية، ونقتصر هنا على دراسة التأثيرات العربية والآسيوية التي وقعت على مساجد زنجبار.

### مسجد كيزيمكازي Kizimakazi

أقدم مساجد زنجبار التي وردت إشارات عنها المسجد الجامع في كيزيمكازي Kizimakazi جنوب زنجبار، وصف بأنه مسجد قديم من أعجب المباني في شرق إفريقيا، وفوق محرابه نقش بالخط الكوفي نصه "بأمر الشيخ السيد بن عمران مقوم الحسن بن محمد أطل الله حياته المدينة، اللهم أقضي على أعدائه، تم بناء هذا المسجد في يوم الأحد من شهر ذي القعدة سنة خمسائة من الهجرة<sup>(١٢٣)</sup>، وللأسف فقد اندثر هذا المسجد، ويرجح أنه يرجع إلى فترة السيطرة الشيرازية، حين أستطاع علي بن حسن الشيرازي أو والده حسن بن علي حاكم شيراز النزول في جزيرة كلوا، واشتراها من ملكها، أو من أهلها المقيمين بها، وأسس في زمن قصير مدينة عظيمة حصينة اتخذها عاصمة له وسميت باسم كلوة، وامتد نفوذها من ممباسا شمالاً إلى سفالة جنوباً، ويقع تاريخ بناء هذا المسجد المندثر في فترة حكم السلطان حسن بن داود (٥٠٠ - ٥٢٤ هـ / ١١٠٦ - ١١٢٩ م)<sup>(١٢٤)</sup>

ولما كانت معظم المساجد الباقية ترجع إلى فترة السيطرة العمانية فقد تأثرت جميعها سواء كانت مساجد شيعية أو سنية أو إباضية، تأثرت بعمارة

(١٢٢) عبدالله، حسن محمد: الحركة المعمارية في زنجبار، ص ٢٩٣ - ٢٩٧.  
(١٢٣) Oliver (R.) & Mathew (G.), History of East Africa, London 1988, Vol. 1, p. 107.

(١٢٤) عبدالحليم، رجب: العربية والإسلام، ص ٣٠٢ - ٣١٥.

المساجد العمانية التي تميزت بالبساطة التي تعكس المبادئ الدينية المتقشفة التي يؤمن بها السكان الذين بنيت المساجد على أيديهم أو من أجلهم<sup>(١٢٥)</sup>.

ولما كانت الإباضية ترى أن الإمامة فرض واجب لأنها ضرورة من أجل تطبيق الأحكام الإلهية ونشر العدالة بين الرعية<sup>(١٢٦)</sup>، وبما أن حكام الأسرة البوسعيدية في عمان وزنجبار لم يكلفوا بالإمامة أو ينتخبوا لها وفقاً لأحكام المذهب الإباضي فإن ذلك يعني غياب الإمامة، وقد انعكس ذلك على عمارة المساجد في زنجبار، فلم يكن بين مساجد الإباضية في زنجبار مسجد جامع مما ترتب عليه غياب المنبر كعنصر أساسي من عناصر المسجد، ولكن بعد فترة وجيزة، وفي عهد السيد سعيد بن سلطان (١٧٩١ - ١٨٥٦م) قدمت فتوى من عمان جواز إقامة صلاة الجمعة، فتم وضع المنبر في المساجد الجامعة ووضع في تجويف جدار القبلة خلف باب فتح على يمين المحراب<sup>(١٢٧)</sup>.

#### مسجد المنارة:

يعتبر هذا المسجد أقدم المساجد الباقية في مدينة زنجبار (لوحة ٧) ويقع شرقي المدينة في حي يعرف باسم مائيندي الشرقية، ويرجع إلى ما قبل ١٧٠٠م، وأعيد بناؤه سنة ١٨٣٤م حسبما ذكر نص تأسيس أعلى المدخل الجنوبي<sup>(١٢٨)</sup>.

ويتكون هذا المسجد من ساحة صلاة تتوسطها ثلاث دعائم اثنتان منها دعائم مثمثة، قصيرة الارتفاع، والثالث عبارة عن دعامة مستطيلة عمودية على جدار القبلة، وتحمل الأعمدة المثلثة عقوداً مفصصة موازية وعمودية على جدار القبلة (لوحة ٨)، أما الدعامة المستطيلة فتحمل أيضاً عقوداً مفصصة غير أنها عمودية فقط على جدار القبلة، مما يشير إلى

(125) Chittick (Neville), The Coast, Madagascar and Indian Ocean, Cambridge History of Africa, London 1977, Vol. 3, p. 133.

انظر عن السمات المعمارية للمساجد العمانية القديمة:

Costa, Paolo, M. Historic Mosques and Shrines of Oman. BAR International Series 938, 2001.

(١٢٦) عدون جهلان: الفكر السياسي عند الإباضية، ص ١٣٨.

(١٢٧) عبدالله، حسن: الحركة المعمارية، ص ٩٢.

(١٢٨) المرجع السابق، ص ١١٥.

احتمال أن يكون المسجد قد تعرض لتوسعة في هذا الجانب، وذلك بإضافة مساحة تمتد من هذه الدعامة حتى الجدار الغربي للمسجد (لوحة ٩).

أما عن التخطيط فيكون رواق الصلاة من بلاطتين موازيتين لجدار القبلة، وتتقدمه من الجهة الجنوبية سقيفة أو ساحة بها الميضاة ومدخل المئذنة (شكل ٧) وهذه الساحة التي تتقدم المسجد من الجهة الجنوبية نجدها في معظم مساجد زنجبار وشرق إفريقيا بصفة عامة، وهي أيضاً من الخصائص المعمارية للمساجد العمانية القديمة، إذ دائماً ما يتقدم رواق الصلاة صرح أو سقيفة، ويتقدم السقيفة فناء أو مساحة مسورة.

والدعامات المثمنة والعقود المفصصة نجدها أيضاً في العديد من جوامع شرق إفريقيا نذكر منها المسجد الجامع في شيلا بجزيرة لامو (كينيا)، وجامع جاميا في "حمروني"، وجامع فخر الدين في مقديشيو<sup>(١٢٩)</sup>، والعقود المفصصة وجدت في العديد من مساجد جنوب شرق الجزيرة العربية منها مسجد العقر بولاية شناص (لوحة ١٠)، ومسجد الزرارات بولاية ينقل (لوحة ١١)، الأول يقع على ساحل خليج عمان، والثاني يقع بمنطقة الباطنة بسلطنة عمان أيضاً<sup>(١٣٠)</sup>.

أما محراب المسجد فهو محراب جص مزخرف داخل إطار مستطيل تشغله الزخارف النباتية، وهي الزخرفة الوحيدة في المسجد، ويتوج حنية المحراب عقد مفصص (لوحة ١٢) ويمثل هذا المحراب محراب مسجد صغير في زنجبار بالقرب من ماليندي (لوحة ١٣).

وأما المنارة التي سمي المسجد بها "جامع المنارة" فتقع في الركن الجنوبي الشرقي من المسجد، ويدخل إليها من الساحة التي تتقدم المسجد من الجهة الجنوبية، وهي مئذنة قمعية الشكل تنتهي بقمة مدببة يعطوها هلال، وفتحت بها نوافذ مستطيلة (لوحة ١٤)، وهي طراز انتشر في شرق إفريقيا، إذ نجد مئذنة مماثلة في المسجد الجامع بجزيرة لامو في كينيا (لوحة ١٥)، وهذا الطراز من المآذن التي تشبه القباب القمعية الشكل نجده

(129) Horton, Op. Cit., p. 205.

(130) Costa, Paolo M., Historic Mosques, p. 163.

يشبه القباب القمعية في المقابر السودانية في نفس الفترة<sup>(١٣١)</sup>، بينما المآذن في غرب إفريقيا كانت برجية أيضًا ولكن من طراز مختلف متأثر بعمارة الأكواخ الطينية في غرب إفريقيا، ونذكر منها مسجد بوجوني Bougouni في مالي (لوحة ١٦)، ويعلو قمة المئذنة والأبراج بيض النعام رمز النقاء والخصوبة، وأيضًا للحماية من الأمطار الغزيرة.

#### مسجد الفوروداني ١٣٥٥/٨ ١٨٣٩م:

يقع هذا المسجد على ساحل المحيط الهندي بجزيرة زنجبار، أنشاه سعيد بن سلطان قبل ١٨٣٩م، وتم توسعته بعد ذلك في عهد ابنه السلطان برغش بن سعيد (١٨٧٠ - ١٨٨٨م)، وذلك بإضافة مساحة تعادل نصف مساحة المسجد وتمتد بطول واجهته الغربية.

ويحتوي المسجد على سبعة بائكات موازية لجدار القبلة تتكون كل منها من خمسة عقود تقوم على أربع دعائم قصيرة ثمانية الأضلاع، فيما عدا البائكتان السادسة والسابعة من الجهة الجنوبية فتتكون كل منها من أربعة عقود تقوم على ثلاثة أعمدة (شكل ٨).

وشأن معظم مساجد زنجبار يتقدم المسجد من الجهة الجنوبية ساحة الوضوء ويدخل منها إلى رواق الصلاة وإلى الزيادة الغربية، وتحمل هذه العقود سقفًا مسطحًا من الخشب، يعلوه من الخارج سقف ثانوي من الصاج على شكل جمالوني يقوم على ثماني قواعد حجرية، وذلك لوقاية المسجد من الأمطار الغزيرة في هذه المنطقة (لوحة ١٧) (١٣٢).

وقد استخدم في هذا المسجد أكثر من شكل من أشكال العقود، فاستخدمت عقود مفصصة بعضها ثلاثي الفصوص وبعضها الآخر خماسي الفصوص، واستخدمت العقود المفصصة في البائكات الثالثة والرابعة والخامسة، كما استخدمت أيضًا ثلاثة أنواع من العقود المدببة بعضها عقود فارسية (لوحة ١٨) وبعضها الآخر يتسم باتساع بحوره بشكل مبالغ فيه (لوحة ١٩)، وقد فسر أحد الباحثين تعدد أشكال العقود ببوائك بيت الصلاة بأن العقود الثلاثية والخماسية الفصوص ترجع إلى عصر البناء الأصلي المقام قبل ١٨٣٩م، وأن باقي عقود بيت الصلاة المدببة الشكل ترجع إلى عصر إعادة البناء بعد عام ١٨٤٦م<sup>(١٣٣)</sup>، وليس هناك دليل معماري يؤكد

(١٣١) Horton, Op. Cit., p. 205.

(١٣٢) عبدالله، حسن: المرجع السابق، ص ١٠٣.

(١٣٣) المرجع نفسه، ص ١٠٤.

ذلك خاصة أننا نلاحظ أن بلاطة المحراب استخدم فيها نوعين من العقود في البائكة الأولى والثانية مما يلي المحراب (لوحة ١٨)، هذا بالإضافة إلى أن ظاهرة استخدام أكثر من نوع من أنواع العقود وعلى وجه الخصوص استخدام عقود مفصصة وأخرى مدببة في بائكة واحدة ظاهرة نجدها في أكثر من مسجد من مساجد زنجبار، إذ نجدها أيضاً في مسجد التقوى (لوحة ٢٠) (١٣٠٢/٥ ١٨٨١م)، ولا تقتصر هذه الظاهرة على مساجد زنجبار فقط بل نجدها في بعض مساجد شرق إفريقيا بشكل عام، ومنها المسجد الجامع في لامو بكينيا (لوحة ٤).

وظاهرة الدعائم الثمانية الأضلاع التي تحمل عقوداً مدببة تتسم باتساع السجور بشكل مبالغ فيه هي أيضاً تأثير وافد من جنوب شرق الجزيرة العربية (قارن لوحة ١٩ لعقود بائكات مسجد الفوروداني بزنجبار باللوحات ٢١، ٢٢، ٢٣ لعقود بائكات مسجد آل حمودة بولاية جعلان بني بوعلی سلطنة عمان، ومسجد العارض بولاية الحمراء، ومسجد بياضة داخل قلعة الرستاق بسلطنة عمان أيضاً. وقد انتشر هذا الشكل المعماري في جنوب الجزيرة العربية، كما انتشر في الحجاز وشرق وشمال شرق الجزيرة العربية.

#### مسجد السيد حمود اليوسعيدي بماليندي ١٢٧٢ هـ/١٨٥٥ م؛

يقع هذا المسجد على ساحل المحيط الهندي في منطقة ماليندي المجاورة لمنطقة القصور الملكية، أنشأه السيد حمود اليوسعيدي ينحدر من أسرة أحمد بن سعيد الأسرة الحاكمة في زنجبار حتى سنة ١٩٦٤ م، وفي عمان حتى الآن، وقد أنشئ هذا المسجد سنة ١٢٧٢ هـ/١٨٥٥ م، كما هو مدون على شريط كتابي مثبت أعلى محراب المسجد (١٣٤).

ويعتبر هذا المسجد نموذجاً للتأثيرات العربية القادمة من جنوب شرق الجزيرة العربية، فقد احتذى في تخطيطه مساجد عمان الإباضية، إذ يشتمل التخطيط على ثلاثة عناصر رئيسية هي رواق الصلاة يتقدمه صرح أو سقفة من بائكة واحدة، ويتقدم السقفة فناء أو مساحة مسورة، وفي هذا

(١٣٤) أشارت الدراسة الخاصة بالحركة المعمارية في زنجبار إلى هذا الشريط الكتابي دون أن تسورد نصه، كذلك أشار إليه هورتون دون أن يورد نصه أيضاً. انظر: عبد الله، حسن: الحركة المعمارية، ص ١٠٤؛

المسجد نجد رواق الصلاة يتوسطه عمود واحد يحمل عقدتين مدببتين يشكلمان بانكة موازية لجدار القبلة (شكل ٩)، ويتقدم رواق الصلاة بانكة من أربعة عقود فارسية Keel Arch تقوم على ثلاثة أعمدة قصيرة (لوحة ٢٤). ويتقدم هذه البانكة فناء، وسقف المسجد مسطح يعطوه سقف ثانوي ذي شتر جمالوني للوقاية من الأمطار، ويكاد هذا السقف الجمالوني أن يكون هو الاختلاف الوحيد بين هذا المسجد ومساجد عمان، إذ نجد هذا التخطيط المشتمل على هذه العناصر المعمارية الثلاثة رواق الصلاة، السقفية أو الصرح، الفناء في العديد من المساجد الإباضية في عمان نذكر منها مسجد العقر في ولاية شناص (شكل ١٠) وجامع السنسلة في مدينة صور (شكل ١١).

انتشر هذا التخطيط الثلاثي الذي ينقسم فيه المسجد إلى ثلاثة أقسام رئيسية، وهي: بيت الصلاة، والظلة، والصحن، في جنوب شرق الجزيرة العربية والحجاز، بل ونجدته في شمال الجزيرة العربية، ومنها مسجد المهدي في جزيرة دلما<sup>(١٣٥)</sup> بالإمارات العربية (شكل ١٤). ويحتوي مسجد السيد حمود في أحد أركانه على منڈنة صغيرة، نذكر منها مسجد صور، والمسجد الكبير في صلالة، ومسجد فتح البوسعيد في بوشر على شكل جوسق أو برج صغير، وهي أيضا ظاهرة نجدتها في معظم المساجد الإباضية القديمة، وإن كانت في المساجد العمانية تأخذ شكل قببية صغيرة Turret يطلق عليها مصطلح "بومه" (اللوحات ٣٤، ٣٥، ٣٦)، وقد نسب هذا المسجد خطأ إلى السيد سعيد بن سلطان<sup>(١٣٦)</sup>.

#### مسجد عائشة بنتت جمعة ١٣٩٧ هـ / ١٨٨٠ م:

وهو مسجد أباضي آخر يتكون من العناصر المعمارية الثلاثة التي تتكون منها المساجد العمانية التاريخية، وهي رواق الصلاة يتقدمه صرح أو سقفية يتقدمها الفناء وبه الميضاة، ورواق الصلاة في هذا المسجد يقوم سقفه على الجدران الخارجية وعلى بانكة من ثلاثة عقود يحملها عمودان (شكل ١٢) وتحتوي السقفية على محراب مجوف يتوسط الجدار الجنوبي

<sup>(١٣٥)</sup> دلما: جزيرة من توابع أبو ظبي، دولة الإمارات العربية المتحدة، وتقع على الجانب الغربي من منطقة الخليج العربي، وبها العديد من المباني التراثية الدينية والمدنية. انظر: العزاوي، عبد الستار: جزيرة دلما، مركز زايد للتراث، ٢٠٠٢م، ص ٢٣.

(136) Horton, Op. Cit., p. 207.

للمسجد، وهي ظاهرة نجدها في المسجد السابق (مسجد السيد حمود)،  
ونجدها في المساجد الإباضية في سلطنة عمان.

والأعمدة في هذا المسجد دعائم مئمنة تحمل عقود فارسية مدببة  
Keel Arch (لوحة ٢٥)، ويتوسط جدار القبلة محراب مجوف خال من  
الزخارف يتوج حنية عقد مفصص (لوحة ٢٦) ويغطي السقف الرئيسي  
المسطح للمسجد سقف ثانوي على شكل جمالون من الصاج يقوم على  
قواعد حجرية (لوحة ٢٧) تكاد تشكل الفارق الوحيد في عمارة هذا المسجد  
بينه وبين المساجد الإباضية في عمان نفسها، والواقع أن انتقال سعيد بن  
سلطان إلى زنجبار واتخاذها عاصمة للجناح الإفريقي من دولته أدى إلى  
تحول زنجبار من قرية صغيرة تعيش على صيد الأسماك في بداية القرن  
الثامن عشر، أو كما وصفها "بيسل" في نهاية القرن الثامن عشر عندما  
كانت لا تشتمل سوى على عدد قليل من الأكواخ إلى تلك المكانة التي وصلت  
إليها على عهد السيد سعيد بن سلطان، مما دفع البعض إلى القول بأن  
عمارة زنجبار من قصور ومساجد هي عمارة العرب العمانيين حيث امتلأت  
الجزيرة بسكنى العرب والهنود (١٣٧).

#### المساجد الهندية:

تعرف المساجد الهندية في شرق إفريقيا باسم "جمعة خاتة" وذلك  
للتفرقة بينها وبين المساجد السواحلية، وإذا كانت المساجد الهندية في هذه  
المنطقة ترجع جميعها إلى القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، إلا  
أن الأدلة الأثرية تشير إلى وجود صناعات هندية على الساحل الشرقي لإفريقيا  
منذ القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي (١٣٨).

وتشير المصادر البرتغالية إلى استقرار هنود من كامباي Cambay  
سنة ١٥٠٤م في ممباسا، وأنهم لعبوا دوراً كبيراً في الاقتصاد والتجارة،  
وإن كانت هذه المصادر البرتغالية لم تشير إلى كونهم هنود مسلمين أم  
هندوس، وإن أشارت إلى أن بعضهم كانوا مسيحيين.

(١٣٧) قاسم، جمال زكريا: الدولة العمانية في شرق إفريقيا، حصاد ندوة الدراسات  
العمانية، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة ١٩٨٦م، المجلد  
الثالث، ص ١٠٦.

(١٣٨) Horton، Op. Cit.، p. 207.

وإزداد عدد الهنود بشكل كبير في هذه المناطق منذ بداية القرن التاسع عشر، وهي الفترة التي ترجع إليها المساجد الباقية على هذا الساحل وفي جزره المختلفة، ويرجع ذلك إلى تأسيس شركات هندية لفروع كبيرة لها في زنجبار، ومعظمهم كان قادمًا من حوجارت وكوتش وكاثياوار.

والواقع أننا لا نستطيع أن نفصل بين هذه التأثيرات فقد كانت العلاقات التجارية مع السواحل الغربية لشبه القارة الهندية علاقات قوية ومتبادلة، ورافقت هذه العلاقات التجارية النشطة ظواهر حضارية مميزة تمثلت في عملية التأثير والتأثير العميقين في شتى مجالات النشاط البشري<sup>(١٣٩)</sup>. ومع تعاظم دور الهنود في التجارة الإفريقية ازدادت ثرواتهم ونفوذهم، وتأسست مجتمعات هندية وبنيت العديد من المساجد للشريعة الهنود من إسماعيلية وإثنا عشرية، وكانت المساجد الهندية الرئيسية مرتبطة بطبقة التجار، وتوجد في المدن التجارية الكبرى.

ففي زنجبار في منطقة تعرف باسم الفوروداني يوجد مسجد "جمعة خاتة" لطائفة الإسماعيلية، ويرجع تاريخ تأسيسه إلى سنة ١٨٣٧م، وقد أعيد بناؤه من قبل تاجر هندي هو قاسم داساني سنة ١٩٠٥م<sup>(١٤٠)</sup>. ومسجد حجة الإسلام ويرجع تاريخه إلى سنة ١٨٩٤ - ١٨٩٥م<sup>(١٤١)</sup> وهو خاص بالشريعة الإثنا عشرية، ومسجد قوة الإسلام وأنشئ سنة ١٨٩٤م، ومسجد "ماتيمي" للشريعة الإثنا عشرية أيضًا، ويرجع تاريخه إلى سنة ١٨٦١م، ونلاحظ إطلاق الهنود أسماء مساجد كبرى في الهند شتى مساجدهم في زنجبار.

وفي ضاحية "بكجقشني" بزنجبار أيضًا أنشأ أحد التجار الهنود وهو جيوانجي A.M Jivanjee مسجدًا قبل سنة ١٩٠٠م، وقد أعيد بناؤه على طراز عربي المنذنة سنة ١٩٨٢م<sup>(١٤٢)</sup>. وفي ممباسا مسجدين أحدهما مسجد ميمون، ويرجع تاريخه إلى سنة ١٨٨٠م، والآخر مسجد "ياهدالا" وهو مسجد حديث أنشئ سنة ١٩٥٠م وكلاهما يستمد عناصره من عمارة المعابد الهندوسية.

(١٣٩) حبيب الهاخان: دور عمان في نشاط التجارة العالمية، حصاد ندوة الدراسات العمانية، مسقط ١٩٨٦م، المجلد الثالث، ص ٥٦.

(١٤٠) Horton, Op. Cit., p. 207.

(١٤١) مسجد حجة الإسلام، ذكره حسن عبد الله باسم مسجد "هيجا قبل إسلامه"؟

(١٤٢) Horton, Op. Cit., p. 207;

المرجع، حسن عبد الله

ص ٢٩٦، السابق

وفي شاك شاك (Chake Chake) يوجد مسجد للبهرة يعتبر مثالا لعمارة أواخر القرن التاسع عشر، حيث نجد استخداما مكثفا للخشب الهندي المحفور<sup>(١٤٣)</sup>، ويبدو تأثير استخدام صناعات هندود لحفر الزخارف النباتية على الأخشاب في المساجد العربية والمساجد الهندية واضحا فنجد هذه الزخرفة النباتية تعلو مدخل مسجد عائشة بنت جمعة في زنجبار (لوحة ٢٨)، وهذه الزخارف النباتية الهندية وأسلوب تنفيذها نجدها على أبواب المساجد والمنازل في عمان نفسها<sup>(١٤٤)</sup> (لوحة ٢٩).

وتتميز المساجد الهندية في شرق إفريقيا باحتوائها على أكثر من طابق، وتحتوي الطوابق العليا منها على مدارس ومطابخ وأماكن للطهارة بالإضافة إلى مكاتب ومكتبة، وتجمع الكثير من هذه المساجد بين التأثيرات الهندية وأساليب ومواد البناء المحلية مثل استخدام الصخور المرجانية، سواء المرجان الأرضي أو المرجان البحري المسامي، ويتم تسوية قطع المرجان في أوجه الجدران، كما استخدمت الحجارة المرجانية في بناء المحاريب التي كانت تشيد كاملة بالمرجان المسامي<sup>(١٤٥)</sup> واستخدمت عيدان شجر المنجروف بشكل أساسي في الأسقف، ونتج عن ذلك أن اتساع الحجرات لا يزيد عن ثلاثة أمتار، ومن ثم استخدمت الصلبة المجلوبة من الغابات الساحلية في بناء منازل الطبقات العليا، وفي تسقيف المساجد حيث تتعلبب الأسقف بأعما أكبر.

ويذهب البعض إلى القول بأن هذه الأبواب المنحوتة وأعتابها ذات الزخارف النباتية تعتبر أبواب ذات سمات هندية وأشكال عمانية منقذة بأخشاب محلية<sup>(١٤٦)</sup>، مما يدفعنا إلى القول بامتزاج هذه التأثيرات العربية والهندية والمحلية، ونتج عنها ما يمكن أن نطلق عليه طراز العمارة السواحلية، وهو طراز غلبت عليه التأثيرات العربية منذ عصر سعيد بن سلطان (١٧٩١ - ١٨٥٦ م)، أما التأثيرات الهندية الخالصة فنجدها في المآذن القصيرة المزديجة والتي تكتنف المدخل كما هو الحال في مسجد الجمعة في هراري باثيوبيا (لوحة ٣٠) أو المدخل الذي يعلوه نفس الطراز

(١٤٣) Horton, Op. Cit., p. 208.

(١٤٤) القلاع والحصون في عمان، ص ١٦٤.

(١٤٥) Horton, Op. Cit., p. 199.

(١٤٦) Ibid., p. 199.

## عمارة المساجد في شرق إفريقيا بين الأساليب المحلية والتأثيرات العربية والهندية

من هذه المآذن التي على هيئة جوسق قصير تعلوه قبة كما في مسجد ريادا في جزيرة لامو بكينيا (لوحة ٥).  
وهذه الجواسق القصيرة تسقفها قبة كروية أو بصلية أو مسلة تزين الأركان والواجهة الخارجية للمساجد سمة معمارية مميزة للمساجد الهندية منذ العصر المغولي، ولم تتخل عمارة المساجد في شرق إفريقيا عن هذه التأثيرات الهندية حتى العصر الحديث، فقد أنشئ مسجد "الجمعة" في نيروبي عاصمة كينيا محتذياً النموذج الهندي المغولي في قبابه الثلاثية البصلية الشكل، والمآذن المزدوجة التي تكتنف المدخل، والأبراج الجوسقية التي تزين الواجهة (لوحة ٣١) أنشئ على نمط مسجد الإمبراطور المغولي شاه جهان (مسجد الجمعة) في مدينة دلهي والذي يرجع تاريخه إلى سنة ١٦٥٠ - ١٦٥٦م<sup>(١٤٧)</sup> (اللوحات ٣٢، ٣٢).

### سواكن:

كانت سواكن عبارة عن مرسى على ساحل البحر الأحمر السوداني، وترجع أقدم الوثائق الخاصة بها إلى سنة ٩٦٩م، وعرفت كميناء شحن بين البحر الأحمر وطرق القوافل في الداخل وخاصة وادي النيل، واختصت سواكن بنقل تجارة الحبشة والنوبة، وتصلها بحراً سفن الحبشة وبرا قوافل النوبة محملة بالدقيق والشمع والعسل وتصل تجارتها لمصر بطريق البحر الأحمر لسهولته.

وقد أدى الصراع بين مينائي عدن وجده، وسوء معاملة آل رسول باليمن للتجار أدى إلى توجه السفن إلى ميناء سواكن وجزر دهنك<sup>(١٤٨)</sup>.  
وقد كان سكانها مزيج من المسلمين والمسيحيين، على الأقل حتى القرن ١٣م، ووصفها اليعقوبي بقوله "سواكن بلد مشهور على بحر الجار" قرب عيذاب ترفاً إليه سفن الذين يقدمون من جدة وأهله بجاة سود نصارى<sup>(١٤٩)</sup>.

(147) Deasai, Zianddin, Mosques of India Delhi, 1966, p. 47.  
(١٤٨) فهمي، نعيم زكي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (أواخر العصور الوسطى) الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م، ص ٤١.

(١٤٩) الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت: معجم البلدان، دار صادر بيروت (د.ت)، ج ٣، ص ٢٧٦.

وقد تدهورت أهمية هذه المدينة في العصر العثماني منذ القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر، غير أنها انتعشت مرة أخرى بعد افتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٩م.

وبنسبت بها العديد من المنازل والمساجد خلال الثلاثين سنة التالية لافتتاح قناة السويس، وما بين عامي ١٩٠٩ و ١٩٢٢م انتقلت الكثير من الأنشطة التجارية منها إلى بور سودان<sup>(١٥٠)</sup>، وأهم مساجد سواكن الأثرية مسجد المجيدي، وهو مسجد يرجع إلى القرن السادس عشر أعيد بناؤه في القرن التاسع عشر، ويقع على الشاطئ بجوار كرفان سراي، ويتكون مخططه من بلاطتين تتوازيان مع جدار القبلة، وخلفهما فناء مكشوف، وللمسجد مئذنة مثمثة في الركن الجنوبي الغربي ومنبر من الحجر المنحوت، وفي الركن الشمالي الشرقي خلوة لقراءة القرآن. ومن مساجد سواكن أيضًا المسجد الحنفي، ويقع على الشاطئ ولا يختلف في تخطيطه عن المسجد السابق وله محراب جص، ومنبر من الحجر المنحوت<sup>(١٥١)</sup>.

وأما أكبر مساجد سواكن فهو مسجد سيدي محمد السر، ويرجع تاريخه إلى أواخر القرن التاسع عشر، واتبع في تخطيطه المساجد الجامعة التقليدية، إذ يتكون من صحن مكشوف تحيط به الأروقة من ثلاث جهات، وأكبر هذه الأروقة رواق القبلة، ويتكون من ثلاثة باتكات، وربما كان هذا المسجد إعادة بناء لمسجد قديم<sup>(١٥٢)</sup>.

وفي الركن الشمالي الغربي حيث تقع الخلوة نجد ضريح ذي قبة مزخرف بأشكال جصية حلزونية وشبكات من خشب الساج الجاوي<sup>(١٥٣)</sup>، في كل ركن من أركانه، وله مئذنة برجية في الركن الجنوبي الغربي.

ويتضح من الوصف السابق لمساجد سواكن وقوع كثير من التأثيرات المصرية عليها، منها المحاريب الحجرية التي انتشرت في مصر في النصف

(150) Horton, Op. Cit., p. 196.

(151) Tédesse, Tamrat, The Road and The Horn, Camb. Hist. Of Africa, London 1977, Vol. 3, p. 178.

(152) Horton, Op. Cit., p. 196.

(١٥٣) خشب صلد قصير التجزع، ويتمتع بمقاومة طبيعية لدخول النمل الأبيض، كان يستورد من الهند وأصبح اعتباراً من القرن ١٢ هـ/١٨م يصنع من غابات شرقي إفريقيا، وقد كان هذا الخشب يعالج بزيت سمك القرش مما يساعد على حفظه لسنوات طويلة.

الثاني من القرن التاسع الهجري، وبداية القرن العاشر، ونذكر منها محراب مسجد فاطمة الشقرا تحت الربع، ومحراب القاضي يحيى بالحياتية، ومحاريب منشآت الأشرف إينال والأشرف قايتباي بصحراء المماليك<sup>(١٥٤)</sup>. كذلك تخطيط الصحن المكشوف تحيط به الأروقة من ثلاث جهات أكبرها رواق القبلة في مسجد "سيدي محمد السر" هو اتباع لتخطيط المساجد الكبرى المبكرة مثل التخطيط الأصلي لمسجدي عمرو بن العاص والجامع الأزهر ومساجد شمال أفريقيا<sup>(١٥٥)</sup>.

أما ترك فناء خلف جدار القبلة فربما كان ذلك توسعة لرواق القبلة في فترة تالية لبناء المسجد، كما هو الحال في المسجد الجامع في هراري (شكل ١٣).

ومن التأثيرات السوافدة أيضاً بناء الأضرحة داخل المساجد، كما هو الحال في مسجد سيدي محمد السر، وهو ما لم نجده في مساجد زنجبار بحكم تأثير المذهب الأبيض، والواقع أن تاريخ عمارة المساجد في شمال شرق إفريقيا، سواء في الجزء الساحلي (أرخبيل دهلك، سواكن، بور سودان) أو الجزء الداخلي (مروى، دنقلة، قصر أبريم).

تعتبر جزءاً من عمارة وادي النيل، من حيث استخدام الطوب المحروق المدعم بروابط خشبية وهو ما نجده في العمارة الدينية والمدنية في سنار، أو حتى استخدام أساليب محلية في البناء مثل استخدام كسر الجرانيت والأساسات لمقاومة الزلازل، مع تسليح الجدران بأخشاب أفقية على فواصل بمقدار متر واحد كعنصر مقاوم للزلازل أيضاً كما هو الحال في عمارة هراري<sup>(١٥٦)</sup>.

وفي مساجد هراري عملت قنوات على السطح العالي للمساجد بتجميع مياه الأمطار، ثم تنساب عبر مجاري بعيداً عن الجدران، وكل مسجد له منئذنة ذات سلم في الجانب الجنوبي الشرقي من الجدار الخارجي لرواق الصلاة، وأحياناً تكون هذه المنئذنة مجرد برج صغير مفتوح الجانب لحماية المؤذن من الشمس والمطر، وهي أساليب معمارية تختلف من عمارة المساجد السواحلية في وسط وجنوب شرق إفريقيا.

(١٥٤) حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية، القاهرة ١٩٤٦م، ص ٢٤٨ - ٢٤٩.

(١٥٥) Hillen Brand, Robert, Islamic Architecture, Edinburgh University Press, 1994, p. 433.

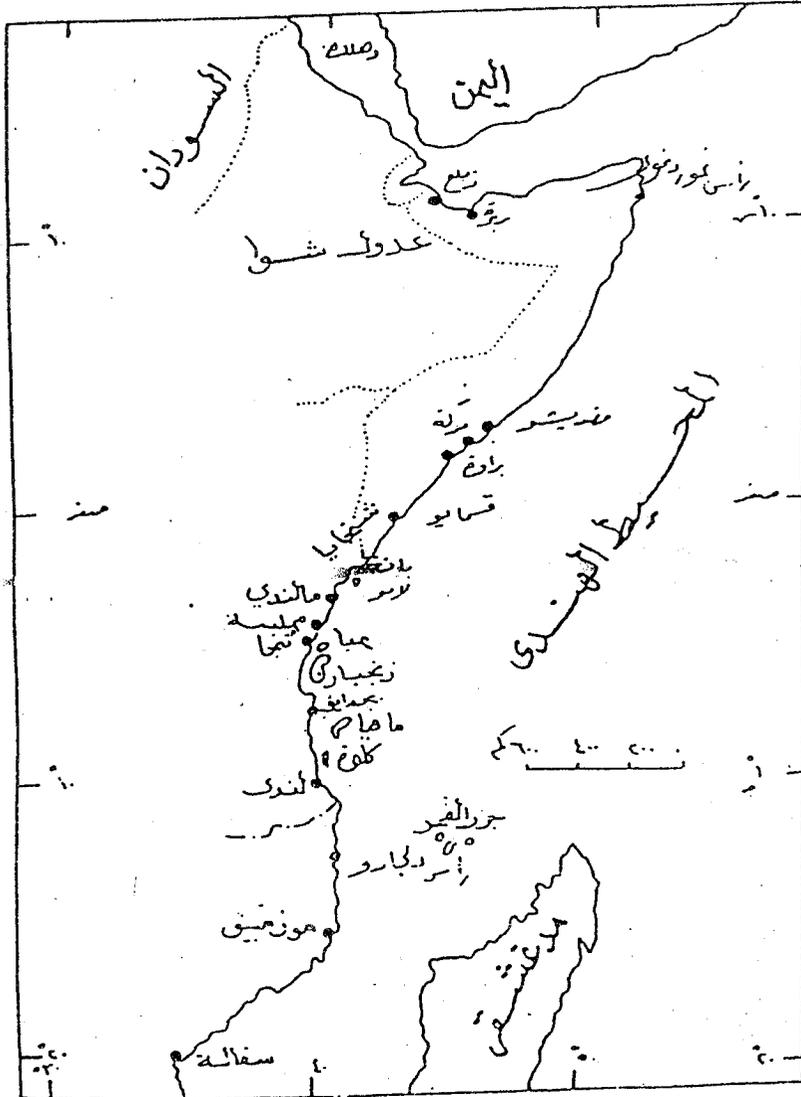
(١٥٦) Horton, Op. Cit., p. 197.

والواقع أن مصادر دراسة عمارة شمال شرق إفريقيا قليلة بل نادرة، وفي هذا الصدد يذكر "هينبراند" أن الباحثين في مجال العمارة الإسلامية في الشرق الأوسط اتجهوا إلى دراسة آثار أوطانهم بشكل خاص، وذلك لاعتبارات عديدة، بينما معرفتهم وإحاطتهم بآثار الدول الإسلامية الأخرى تأتي في المرتبة الثانية<sup>(١٥٧)</sup>، ومن ثم فإن العمارة الإسلامية في شرق وشمال شرق إفريقيا ما تزال في حاجة إلى مزيد من البحث والدراسة.

## الخرائط والأشكال واللوحات

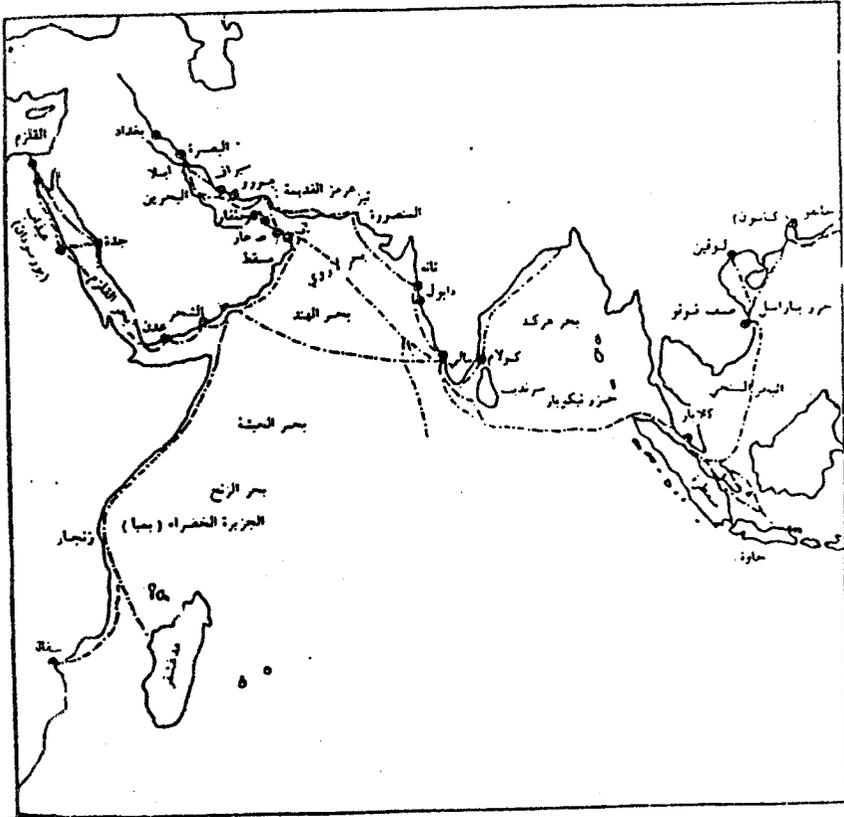
## الخرائط والأشكال واللوحات

### أولاً: الخرائط

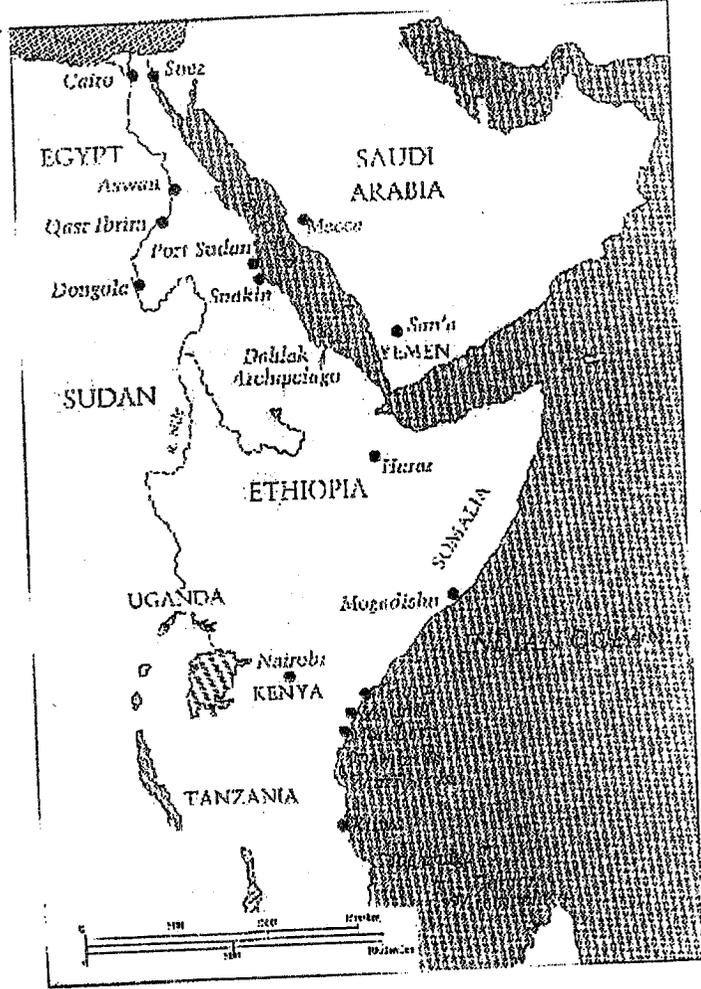


خريطة وقم (١): ساحل شرق أفريقيا في العصور الوسطى

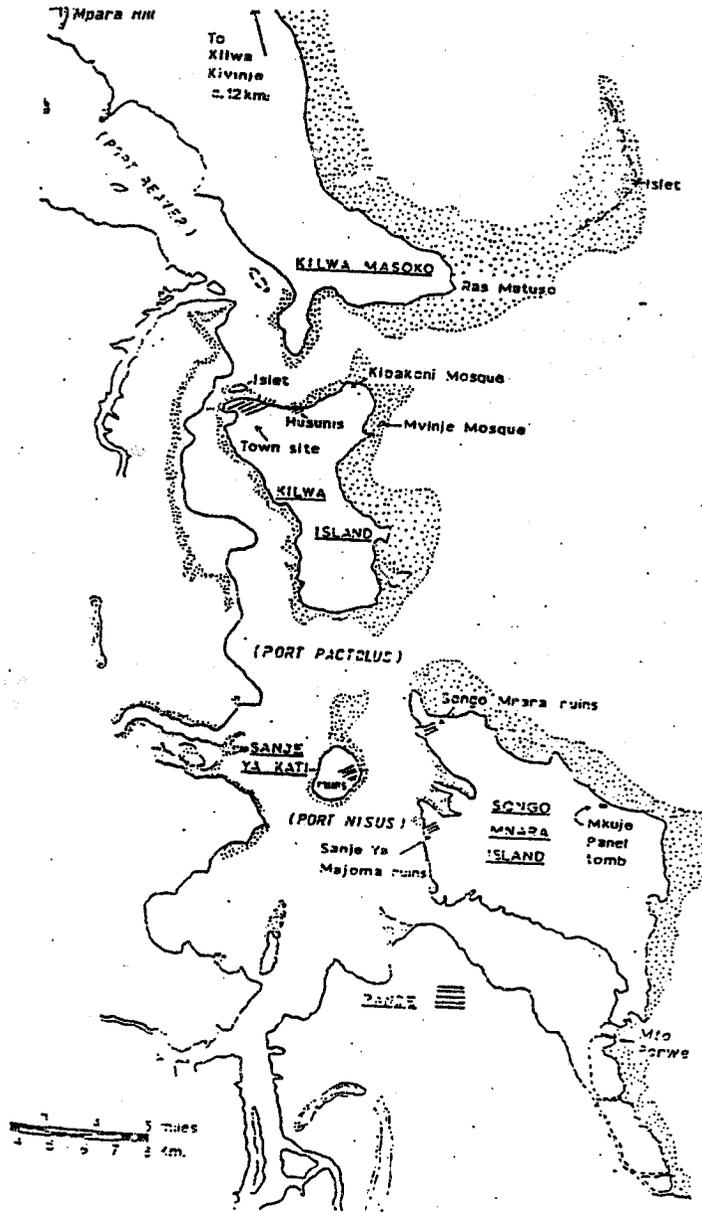
عمارة المساجد في شرق إفريقيا بين الأساليب المحلية والتأثيرات العربية والهندية



خريطة وقوم (١٢): طرق التجارة بين آسيا والجزيرة العربية وساحل شرق إفريقيا.

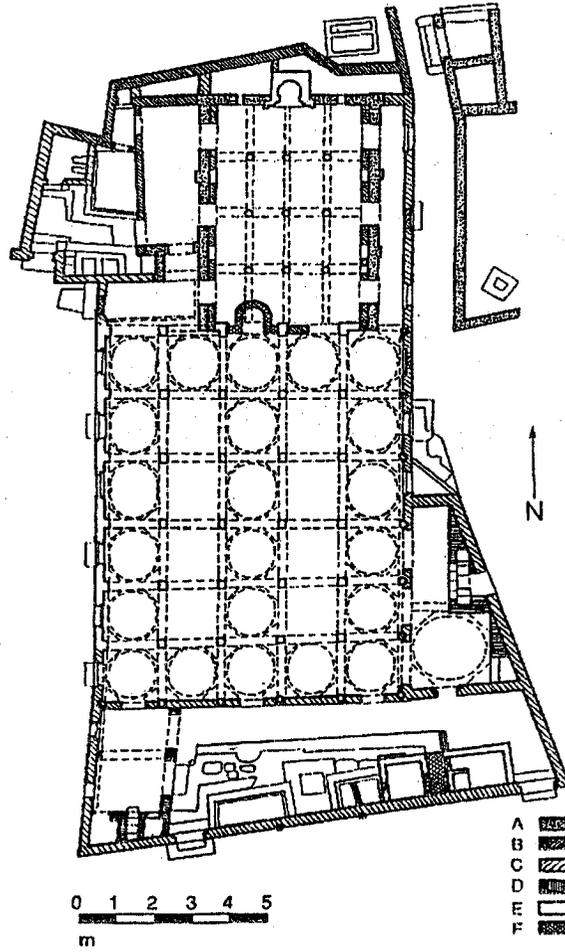


خريطة واتهم (٣): المستوطنات والمراكز الحضارية الإسلامية على ساحل شرق أفريقيا (عن Horton).

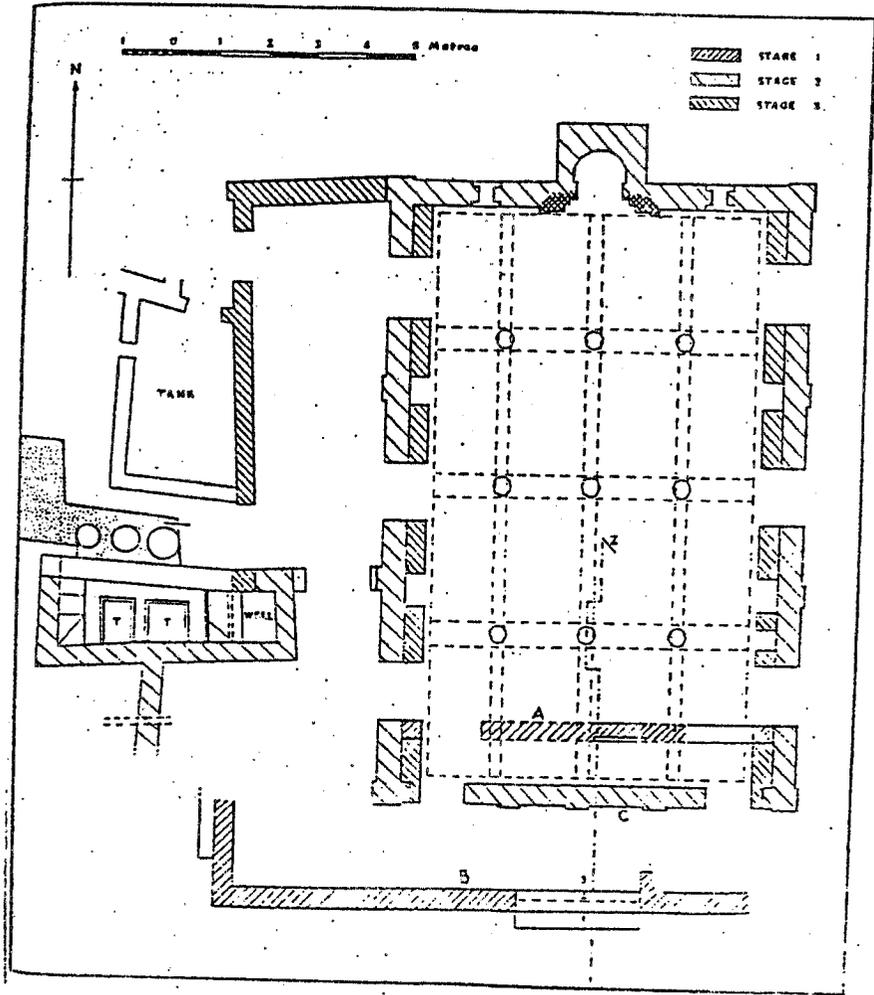


خريطة وتم (2): منطقة كلوا، الساحل والجزيرة والجزر المجاورة. (عن: Chittick)

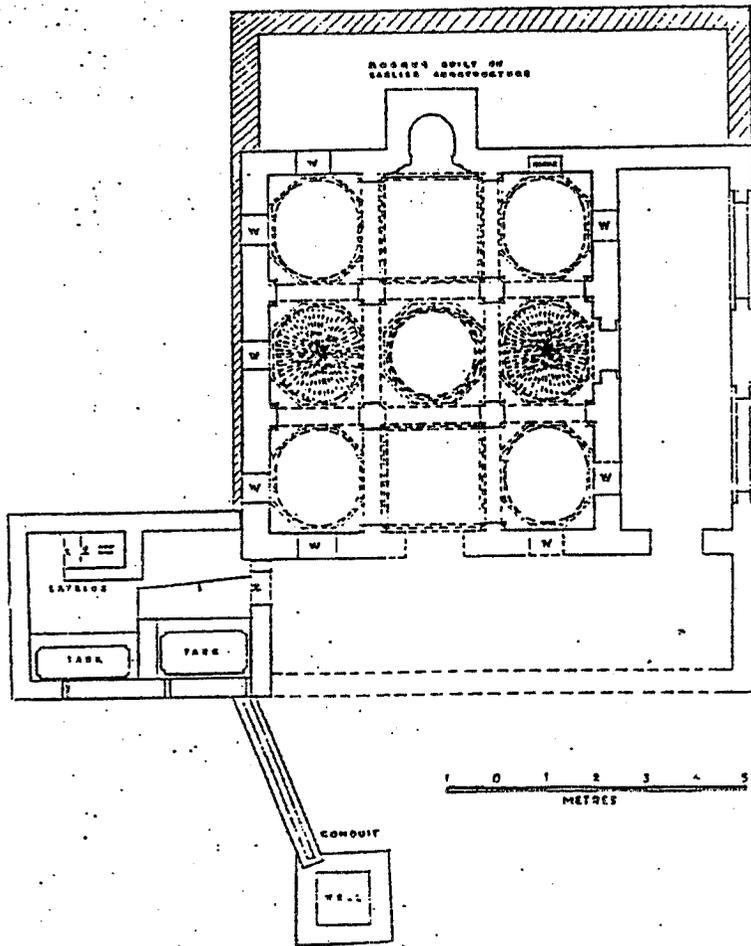
**ثانياً: الأشكال**



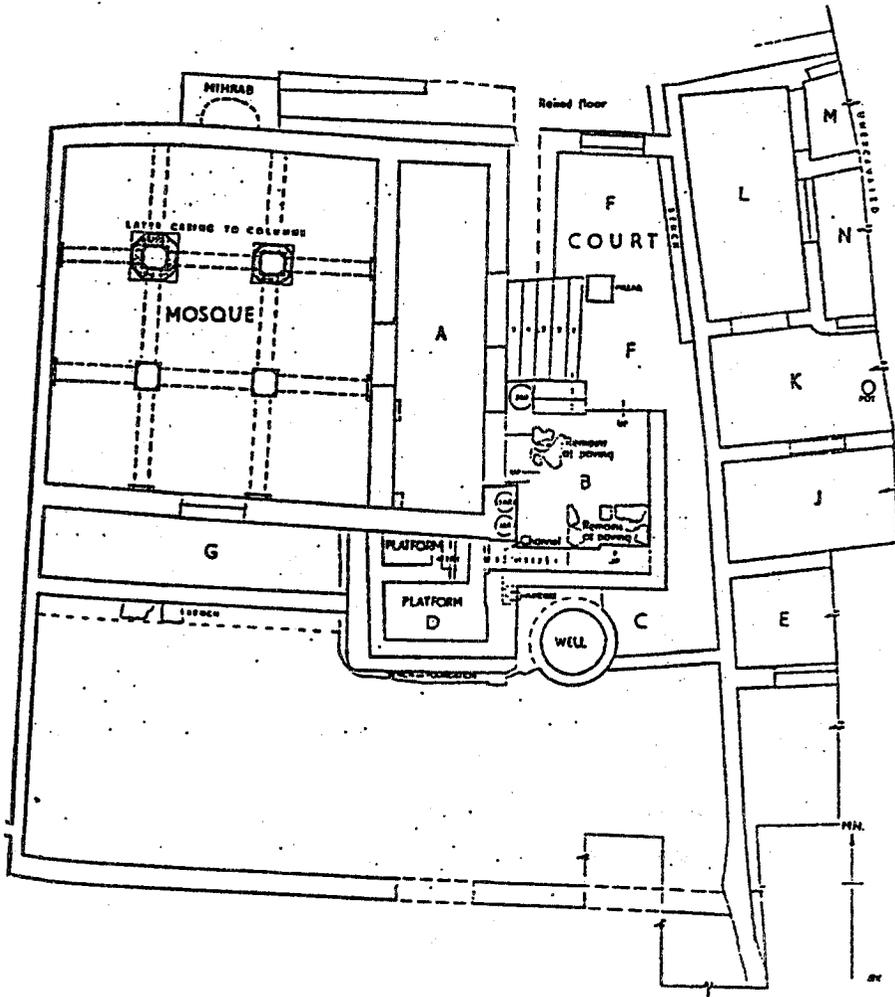
شكل رقم (1): مسقط أفقي للمسجد الجامع في كلوا كيسواني (عن: Chittick).



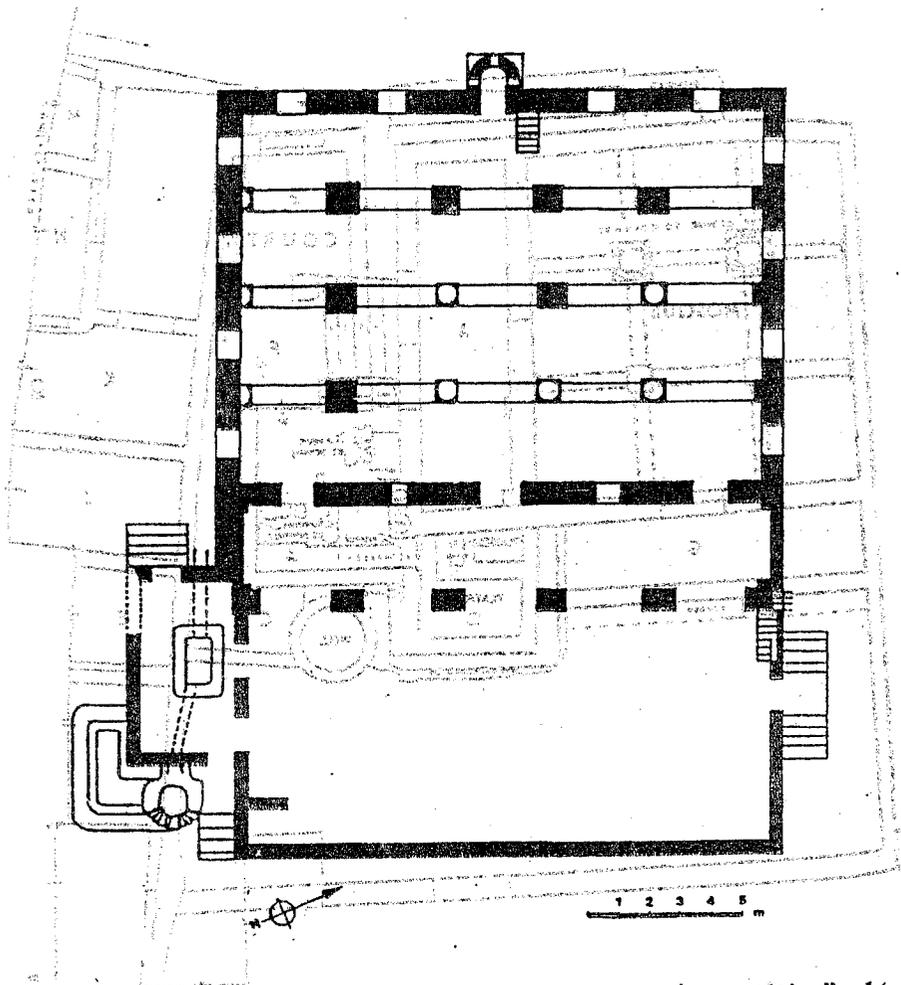
شكل رقم (٤١): مسقط أفقي للجزء الشمالي من المسجد الجامع في كلوا كيسيواني (عن: Chittick).



شكل رقم (٣): مسقط أفقي للمسجد الصغير في كلوا كيبسون (عن: Chittick).

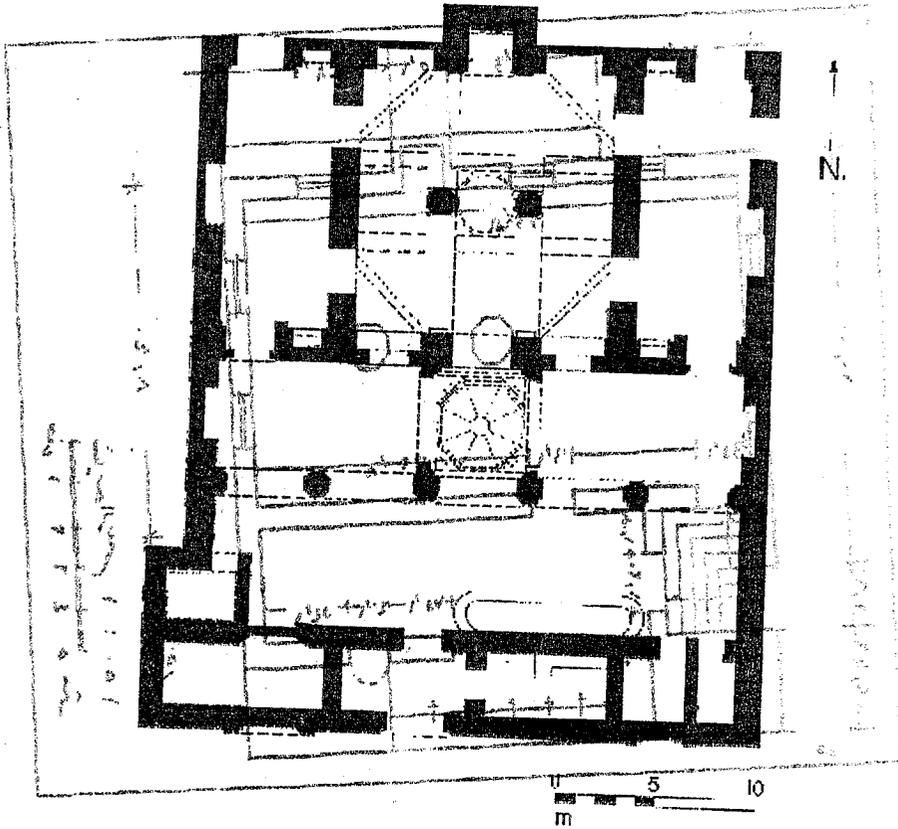


شكل رقم (٤): مسقط أقي لجامع جانجواني (عن: Chittick).



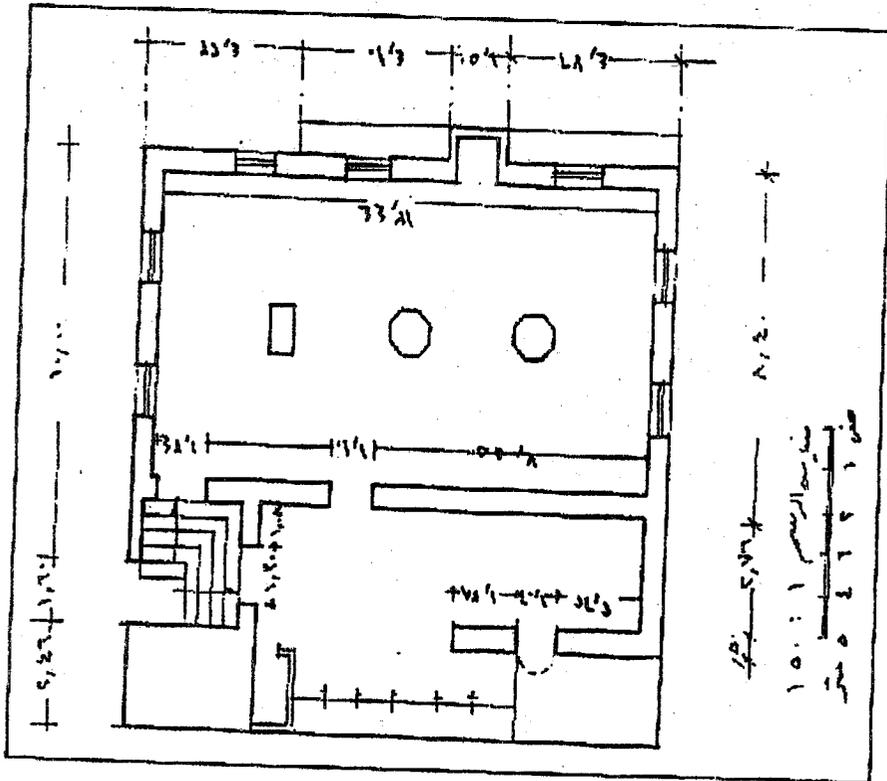
شكل رقم (٥): مخطط لأحد المساجد العمانية يبين أسلوب تزويد المياه (مسجد نخل) (عن باولو كوستا).

المسجد المذكور في هذا المخطط هو من المساجد التي بنيت في عهد السلطنة العثمانية في مدينة سوهاج.

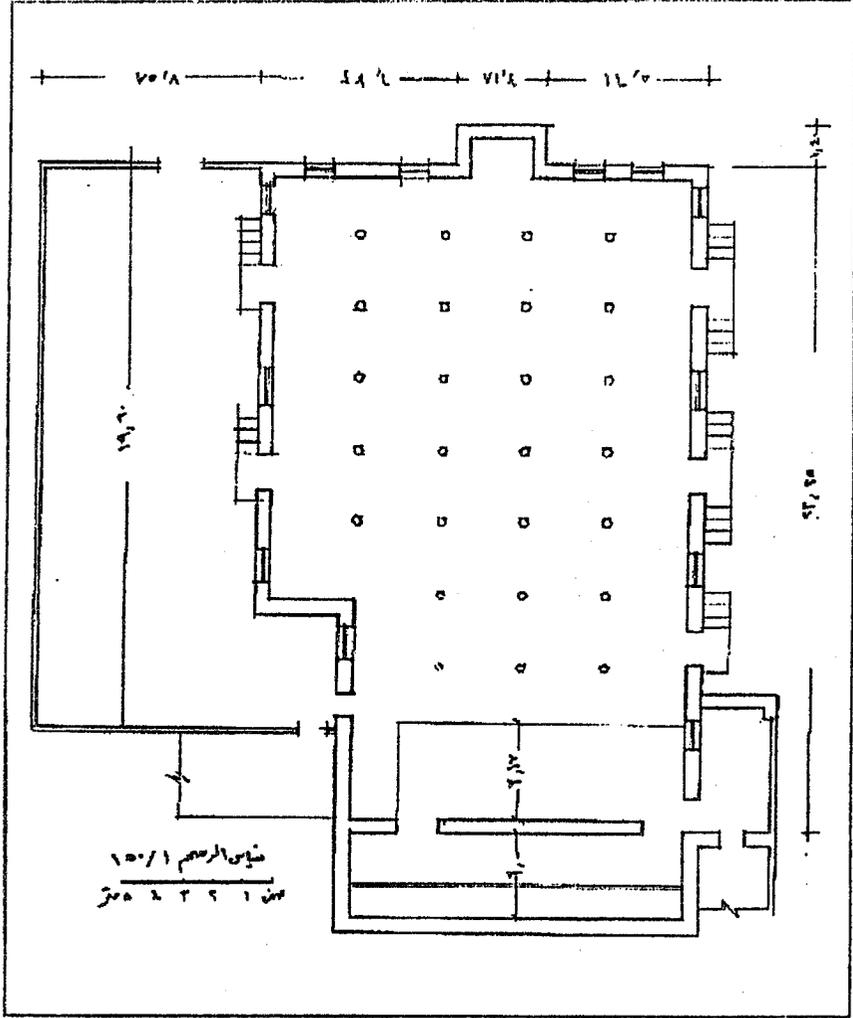


شكل رقم (٦): مسقط أفقي لجامع فخر الدين (عن Horton).  
ملاحظة: رسم من قبلنا بحسب رفقنا أمتعه: (٧) حرم و راحة

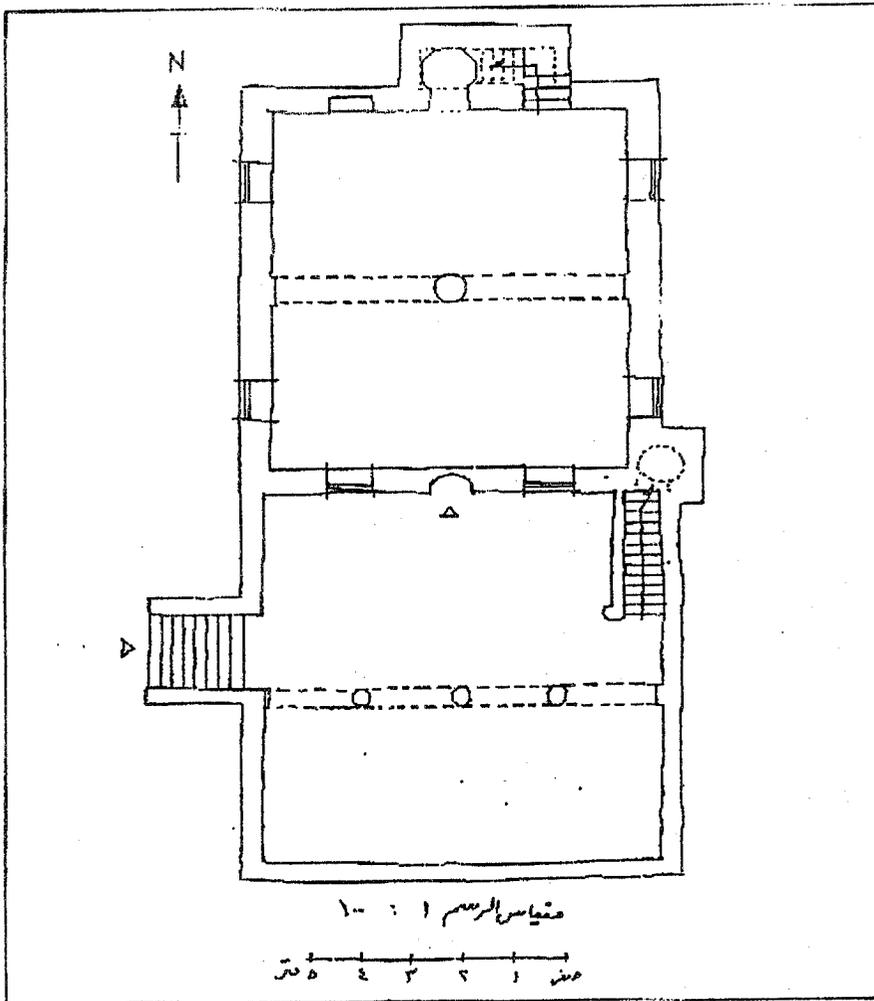




شكلاً رقم (٧) مسقط أفقي لمسجد المنارة (عن: حسن عبد الله).

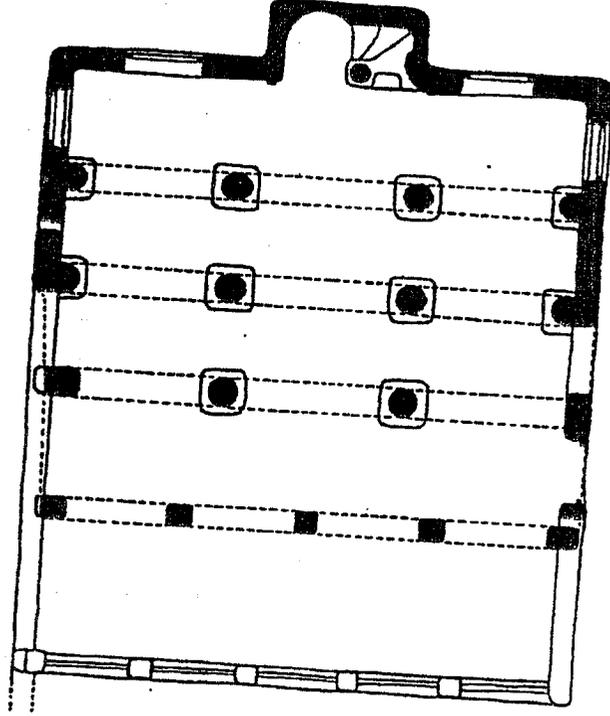


شكل رقم (٨): مسقط أفقي لمسجد الفوروداني بزنجبار.

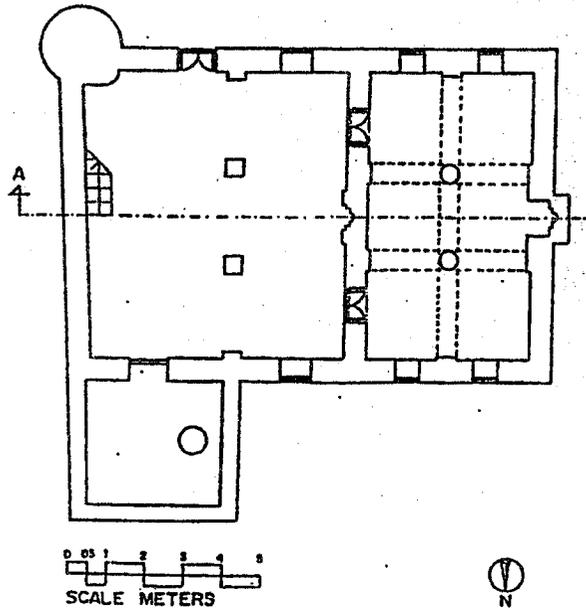


شكل رقم (٩): مسقط أفقي لمسجد السيد حمود البوسعيدي بحاليندي (١٢٧٢ هـ / ١٨٥٥ م).

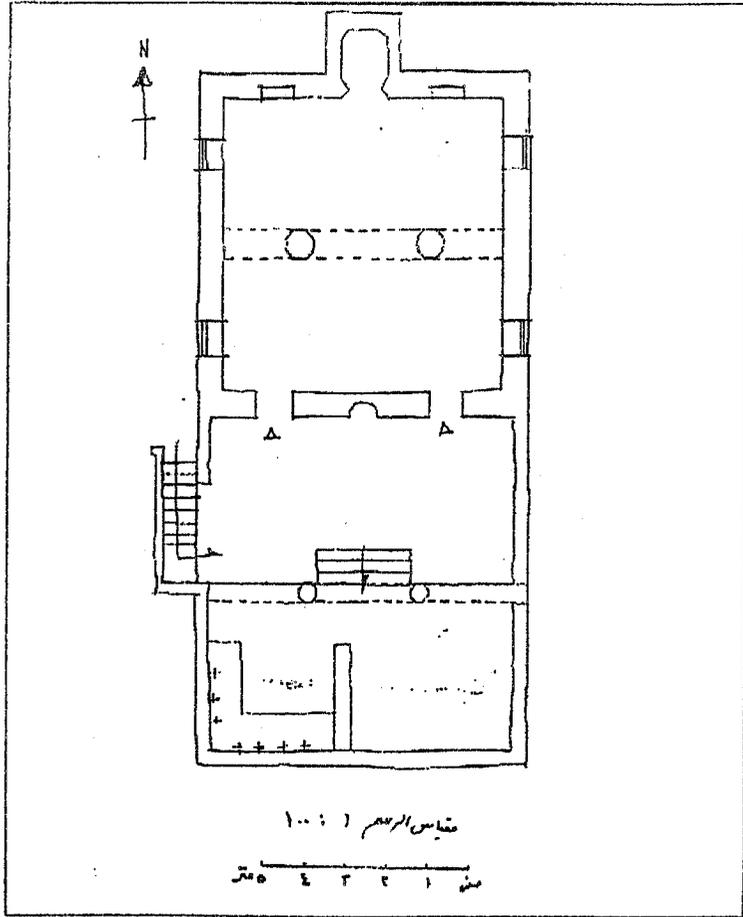
(عن: حسن عبدالله)



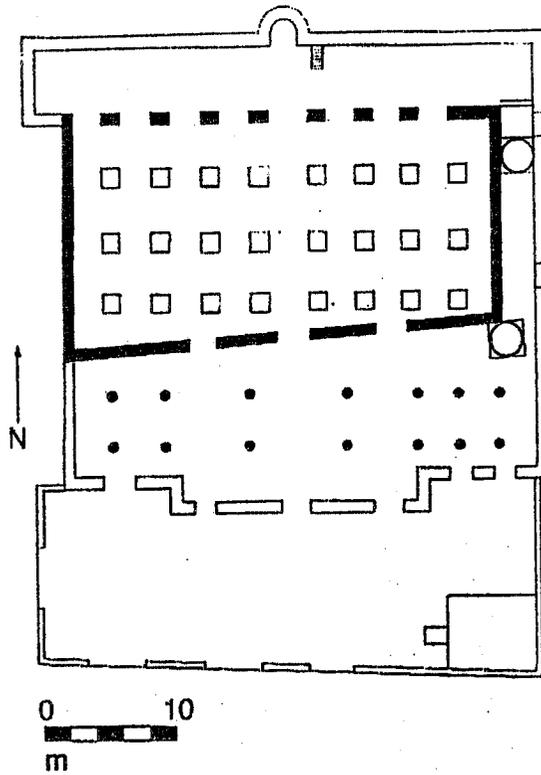
شكل رقم (١٠): مسقط ألقى لمسجد العقر بولاية شناص عمان (عن: باولو كوستا).



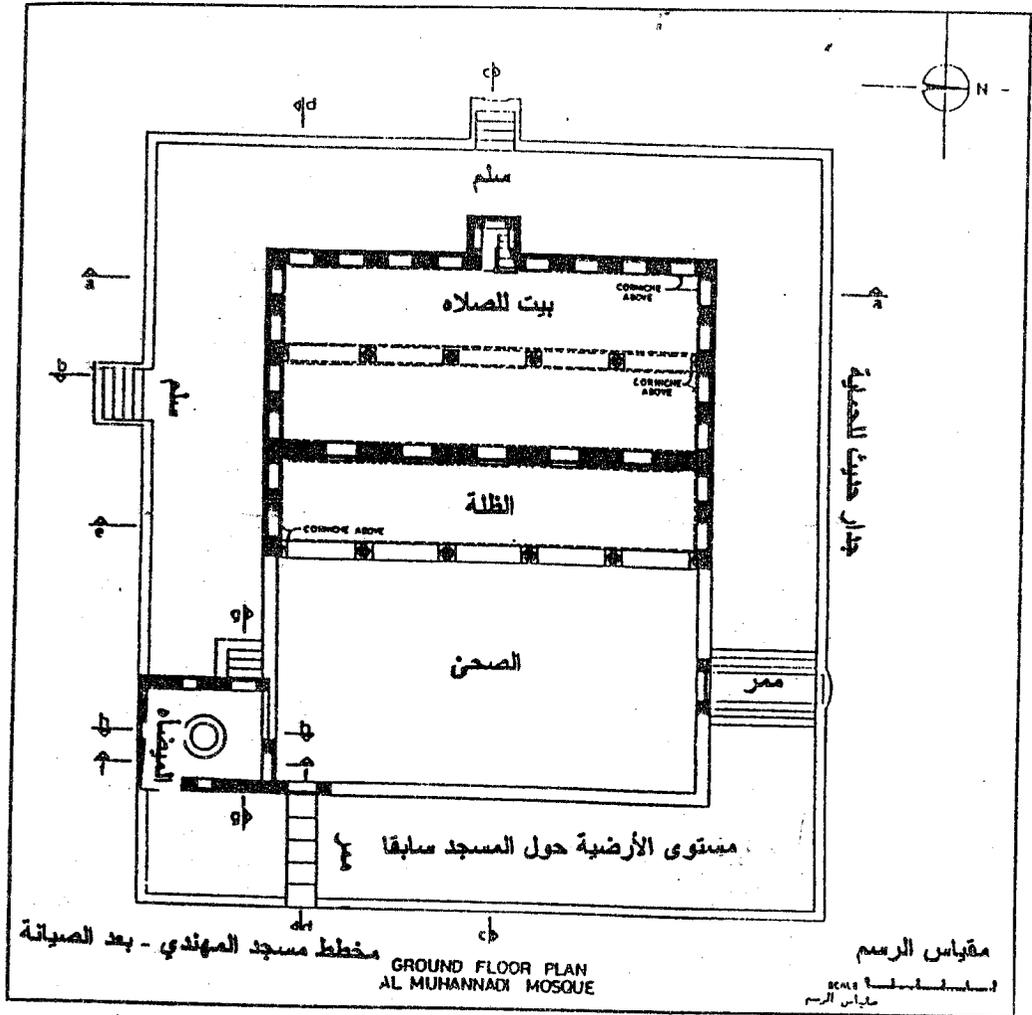
شكل رقم (١١): مسقط أفقي لمسجد السنسلة في مدينة صور - عمان (عن: باولو كوستا).



شكل رقم (١٢): مسقط أفقي لمسجد عائشة بنت جمعة بزنجبار (عن: حسن عبدالله).

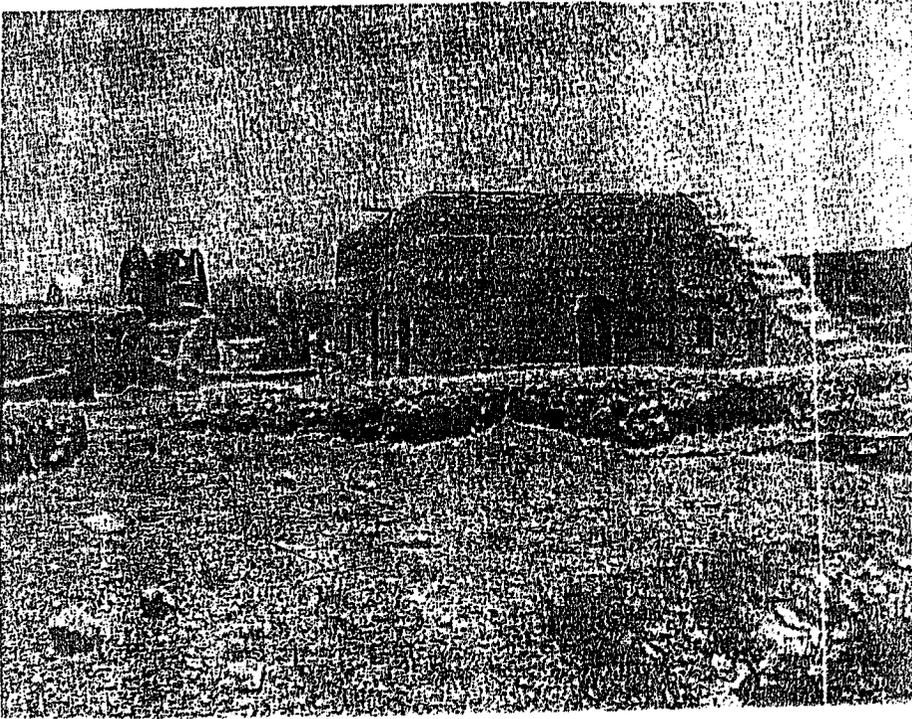


شكل رقم (١٣): مسقط أفقي للمسجد الجامع في هراري- أنيوبيا (عن: Horton).

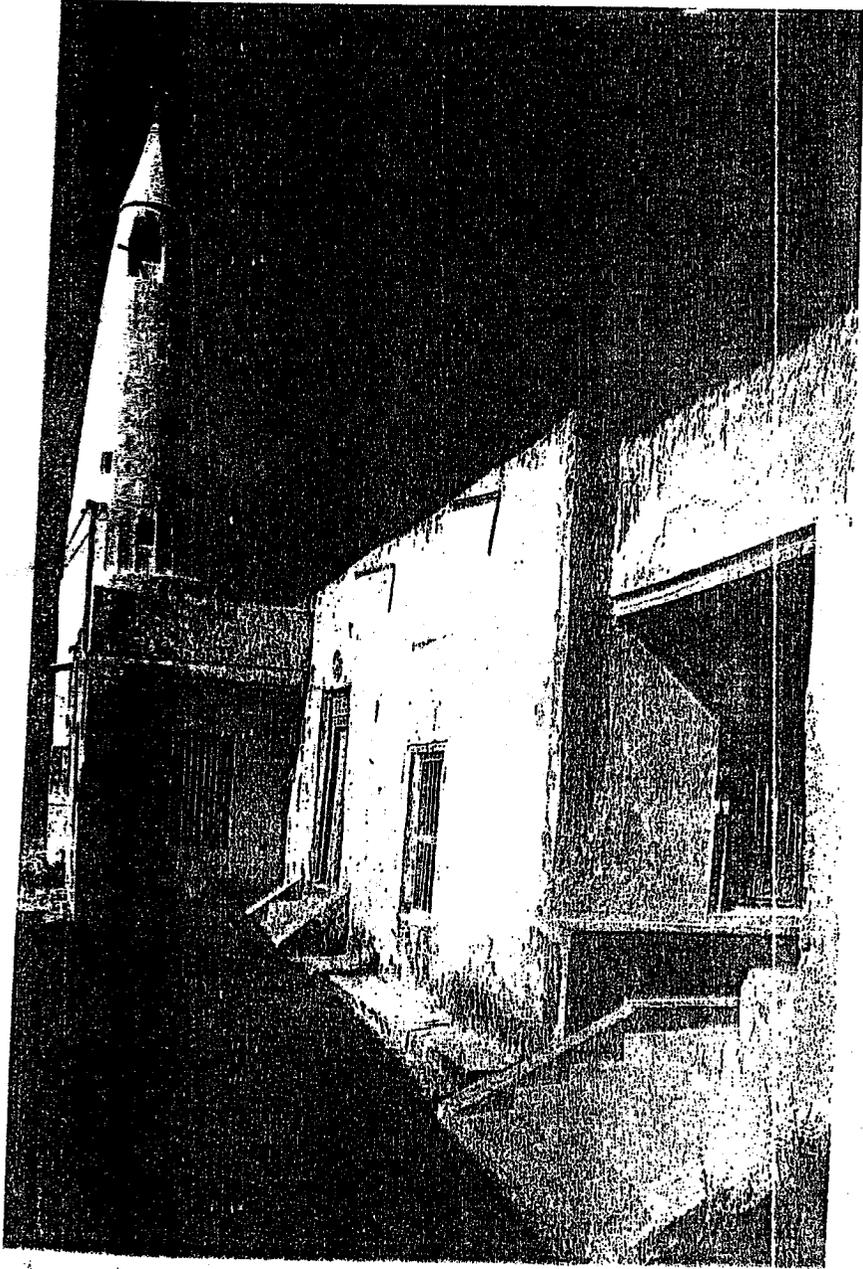


شكل رقم (١٤): مسقط أفقي لمسجد المهندي في جزيرة دلا (عن: الغزاوي)

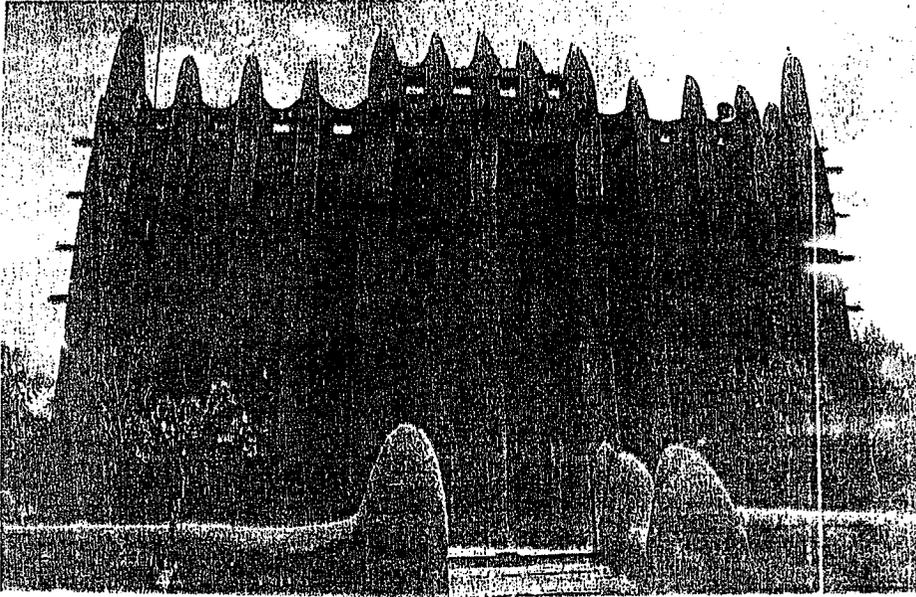
### ثالثاً: اللوحات



لوحة رقم (1): مسجد الشارحة بولاية نزوى - عمان.



لوحة رقم (٣): منلة جامع "شلا" بجزيرة لامو في كينيا (عن: Horton).

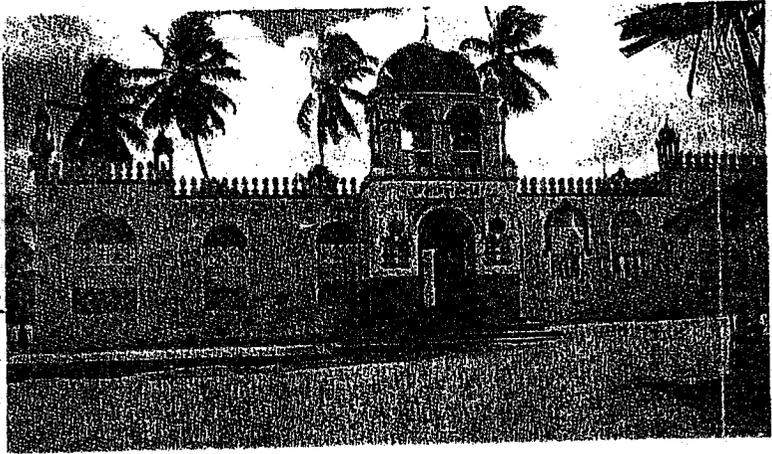


لوحة وقم (١٣): جامع جنييه الكبير في مالي.

(عن: خالد السلطاني)



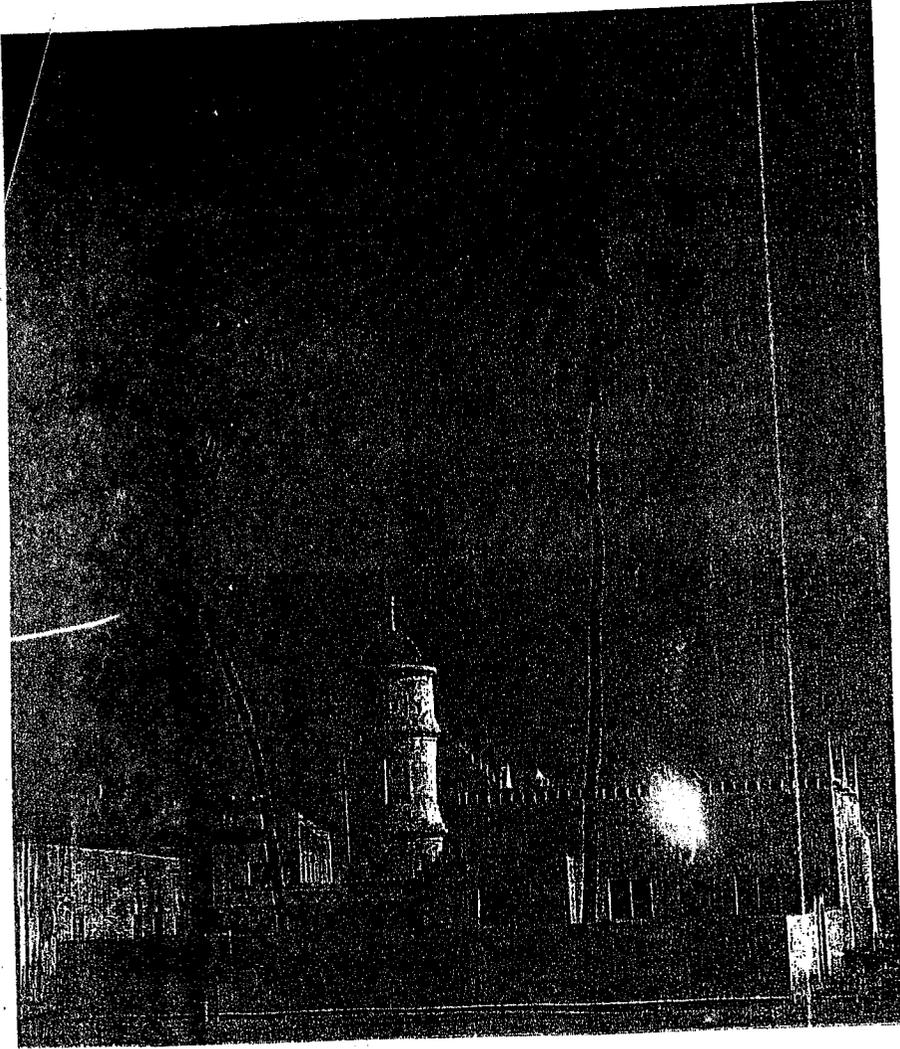
أروقة وقبة (م): المسجد الجامع في "شيل" بجزيرة لامو.  
(عن: Horton)



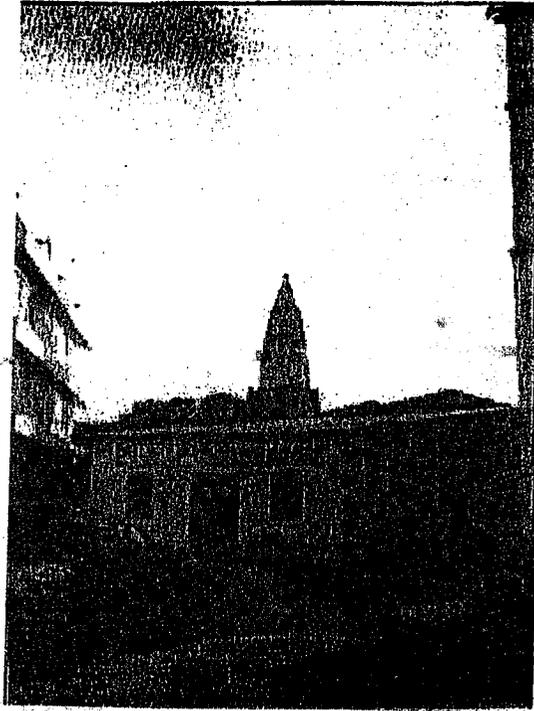
لوحة وقبة (A): مسجد ريادا في جزيرة لامو.

(عن: Horton)

عمارة المساجد في شرق إفريقيا بين الأساليب اقليمية والتأثيرات العربية والحندية

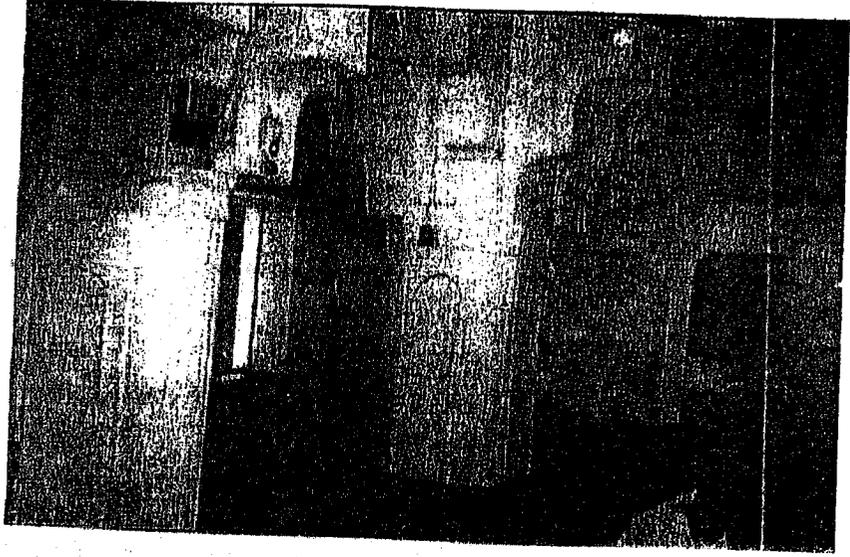


الواجهة واقتم (٦): مسجد الحداد القلم بقرية السهاريز (ظفار).

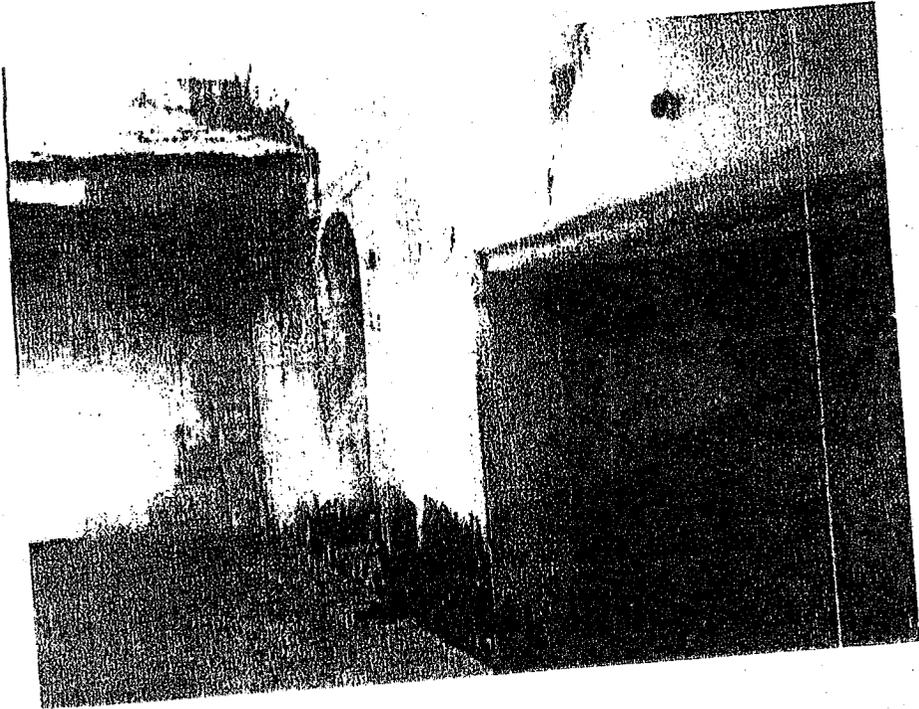


لوحة رقم (٧): مسجد المنارة في زنجبار.

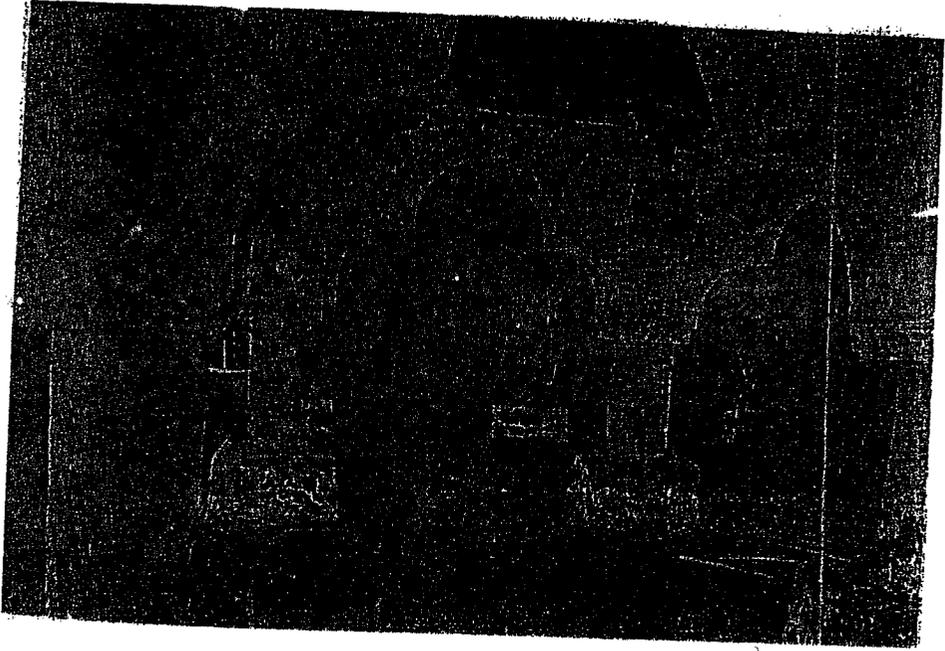
(عن: حسن عبدالله)



أوجهة وقوم (أ): عقود مسجد المنارة في زنجبار.  
(عن: حسن عبدالله)

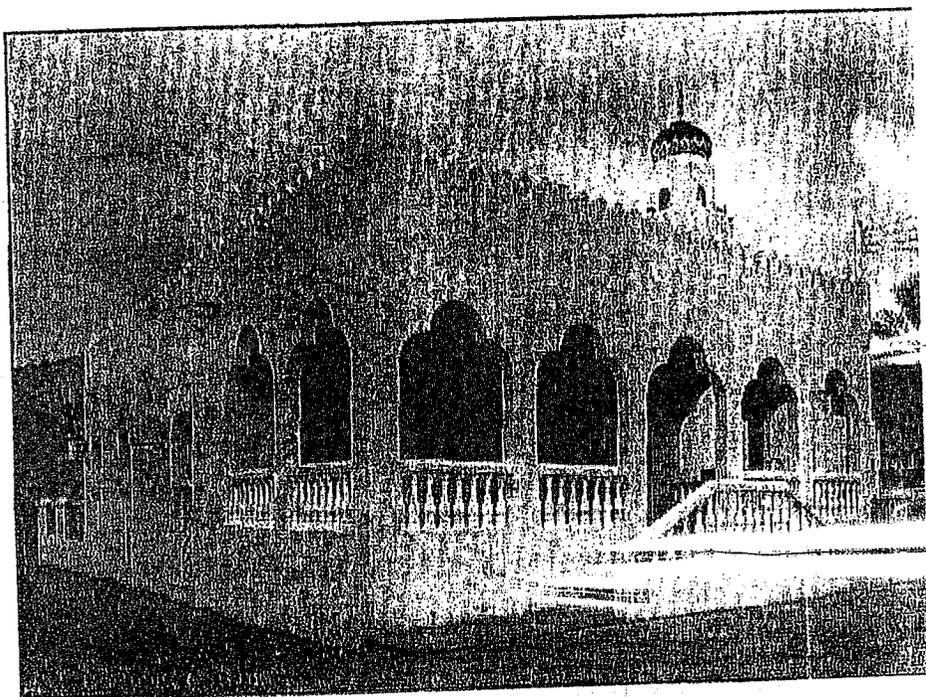


لوحة رقم (٩): الزيادة الغربية بجامع المنارة. (عن: حسن عبدالله)



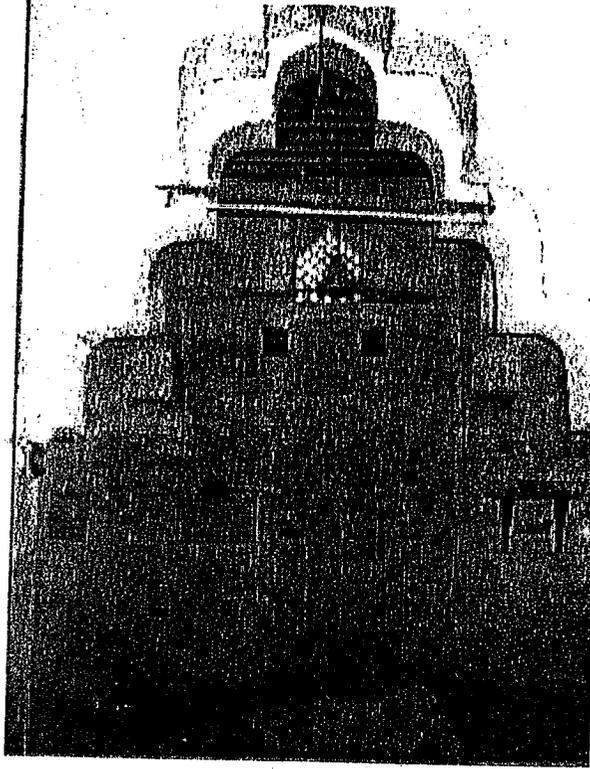
لوحة رقم (١٠): مسجد العقدة بولاية شناس.

(تصوير الباحث)

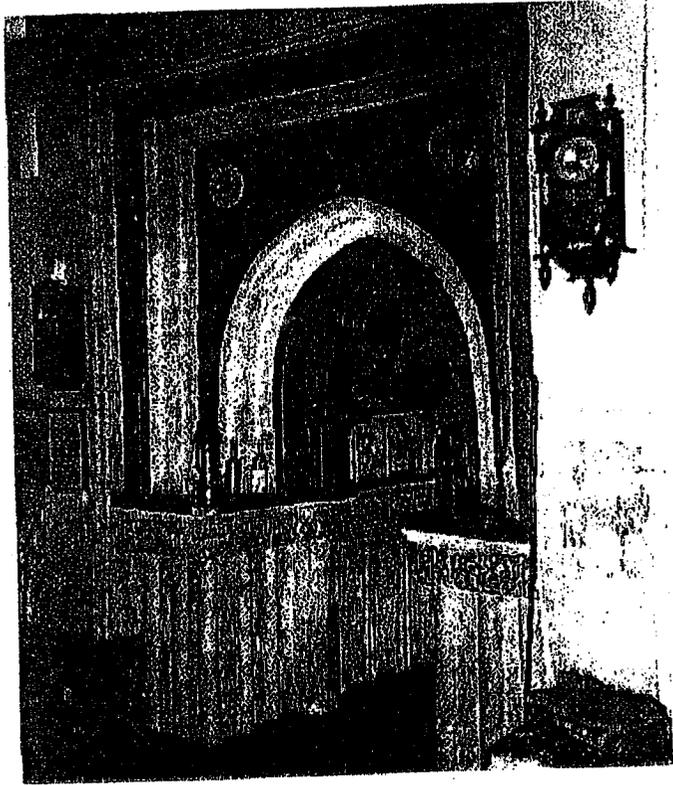


أوحة رقم (١١): مسجد الزارات بولاية ينقل.

(تصوير الباحث)



لوحة رقم (١٢): محراب مسجد المنارة بزنجبار.  
(عن: حسن عبدالله)

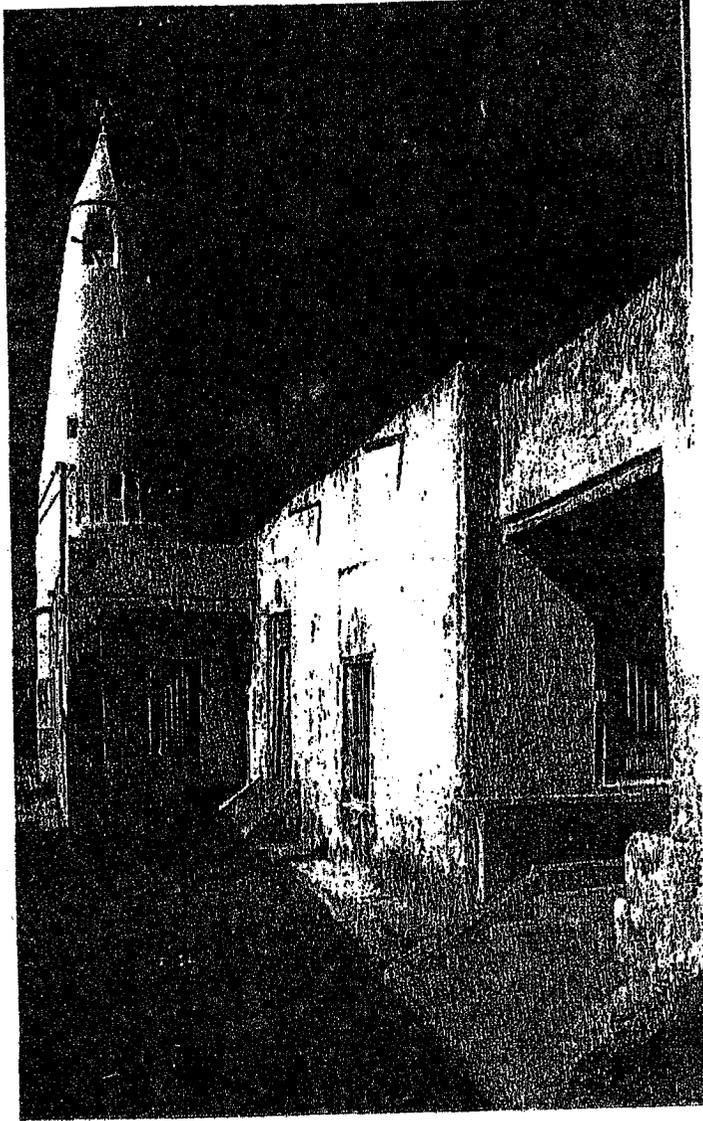


لوحة رقم (١٣): محراب مسجد صغير بالقرب من ماليندي/ زنجبار (١٢/٥١٨ م).

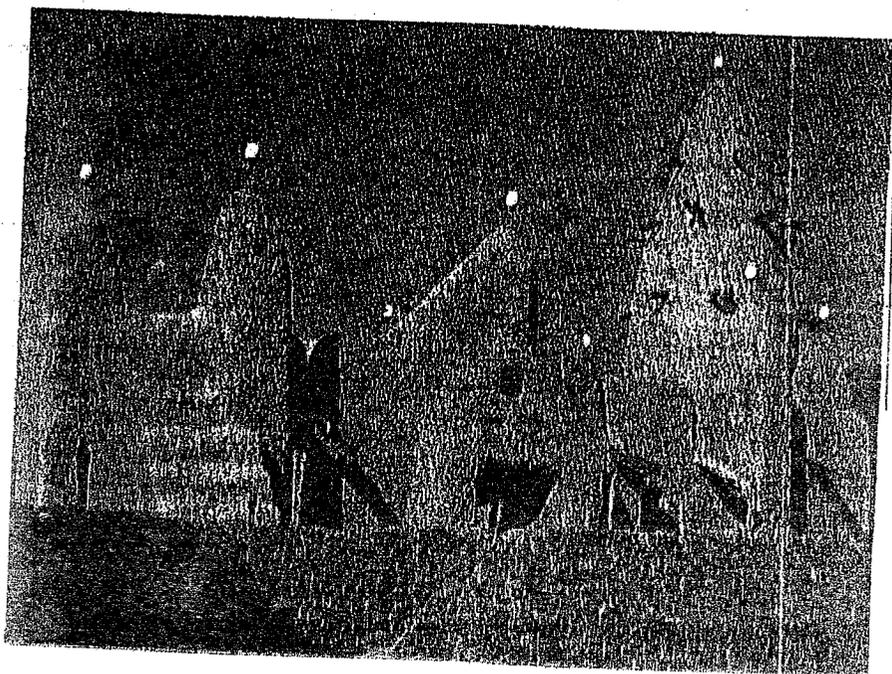
(عن: Horton)



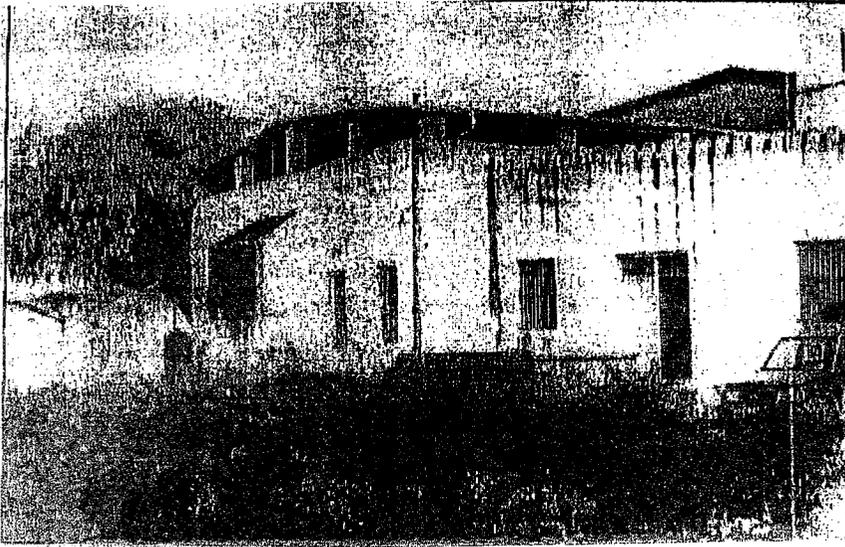
لوحة رقم (14): منارة مسجد المنارة (عن: حسن عبدالله).



لوحة رقم (10): منبنة المسجد الجامع في جزيرة لامو بكينيا.



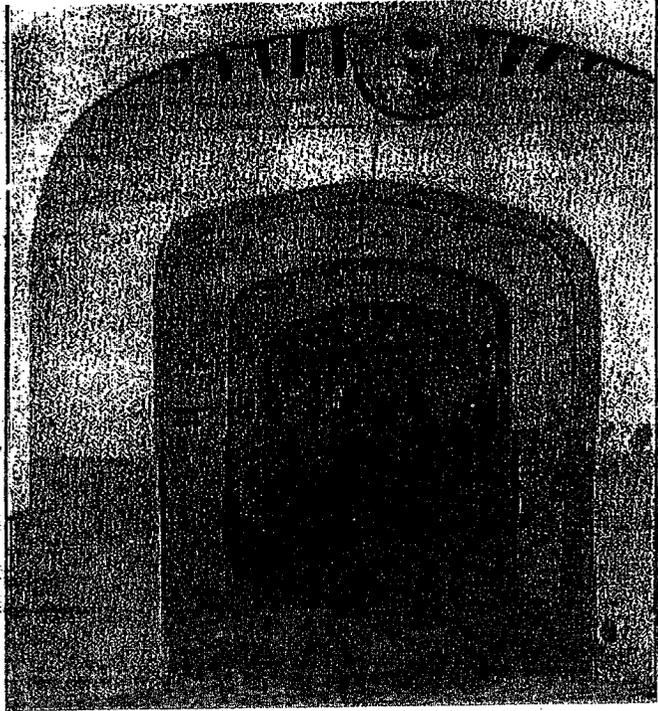
لوحة رقم (١٦): منمنمة وأبراج مسجد بوجوني في مالي.  
(من: خالد السلطاني)



لوحة رقم (١٧): مسجد النوررداني بزنجبار (عن: حسن عبدالله).



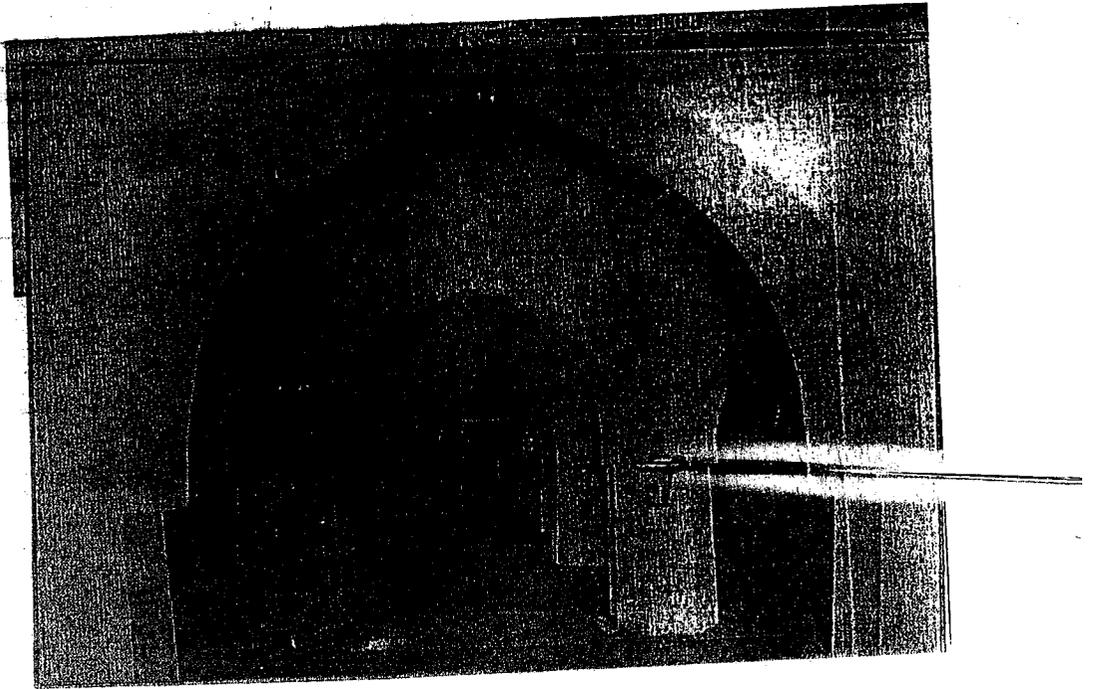
أبو هبة رقم (١٨): عقود مسجد النوروداني (عن: حسن عبد الله).



الوجهة رقم (١٩): بلاطة الخراب بمسجد النوروداني (عن: حسن عبدالله).

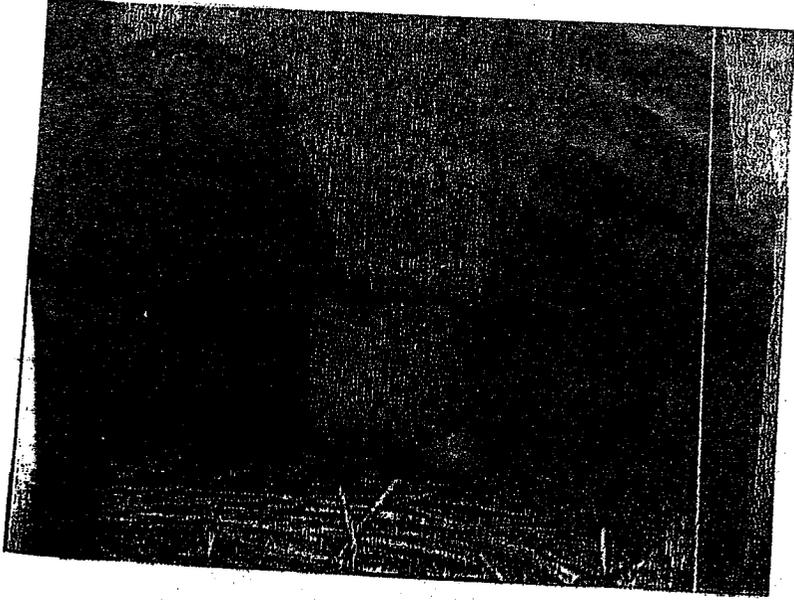


الوَهْفَةُ وَتَقْوَمُ (٣٠): البانكة الجنوبية بمسجد التقوى بزنجبار.  
(عن: حسن عبد الله)

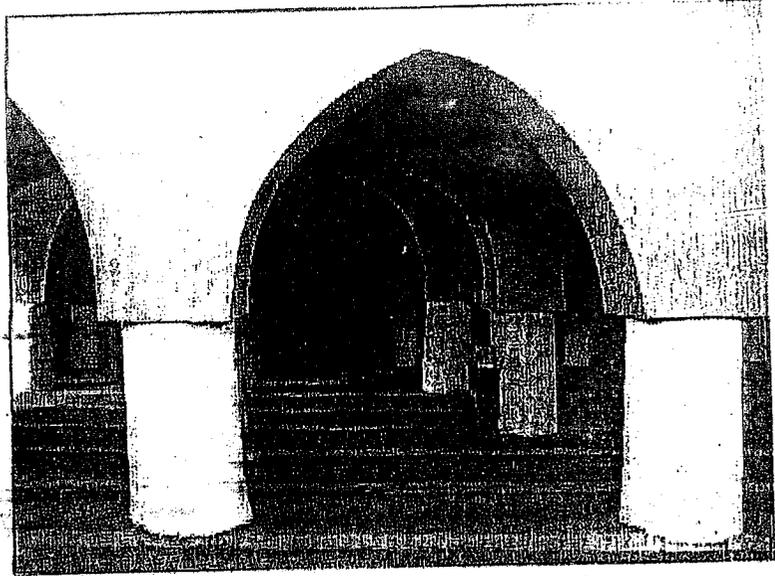


أهمية واقفهم (٣١): عقود بانكات مسجد آل حمودة بولاية جعلان بني بوعلی - عمان.  
(تصوير الباحث)

عمارة المساجد في شرق إفريقيا بين الأساليب المحلية والتأثيرات الغربية

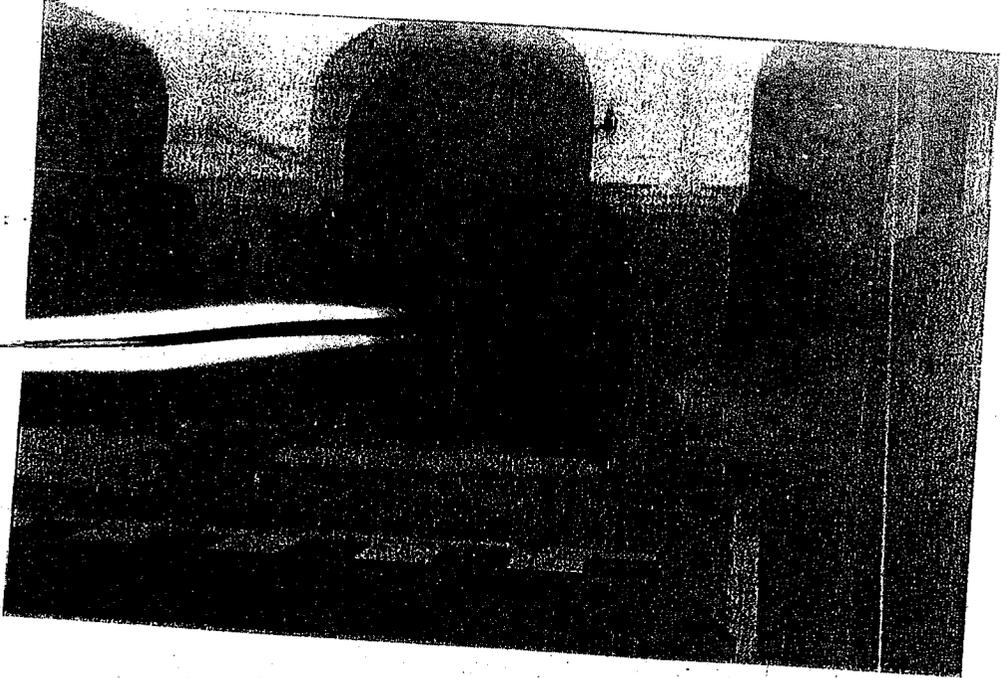


لوحة رقم (١٣٣): عقود بانكات مسجد العارض بولاية الخرطوم

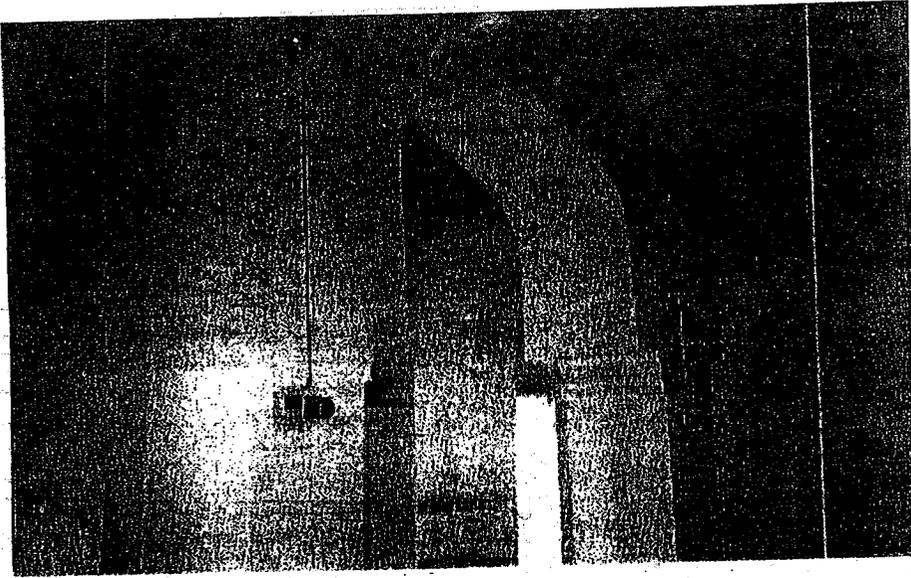


لوحة رقم (١٦٣): عقود بانكات مسجد بياضة داخل قلعة الرستاق - عمان.

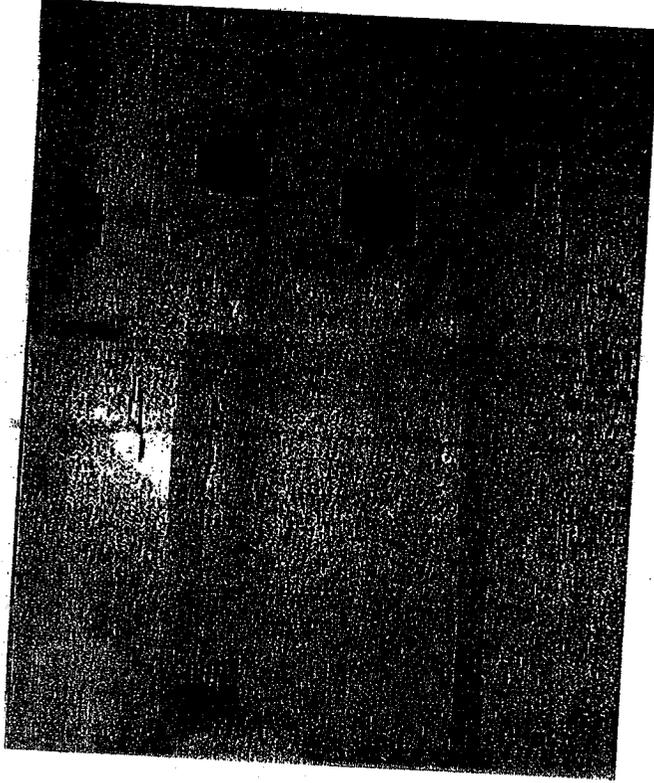
(تصوير الباحث)



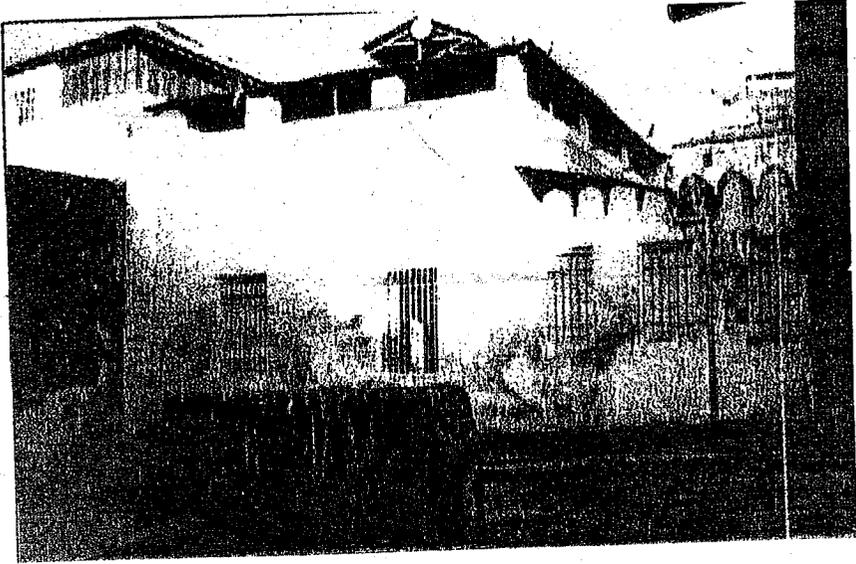
لوحة رقم (١٤): مسجد السيد حمود الجوسعيدي باليندي.  
(عن: حسن عبدالله)



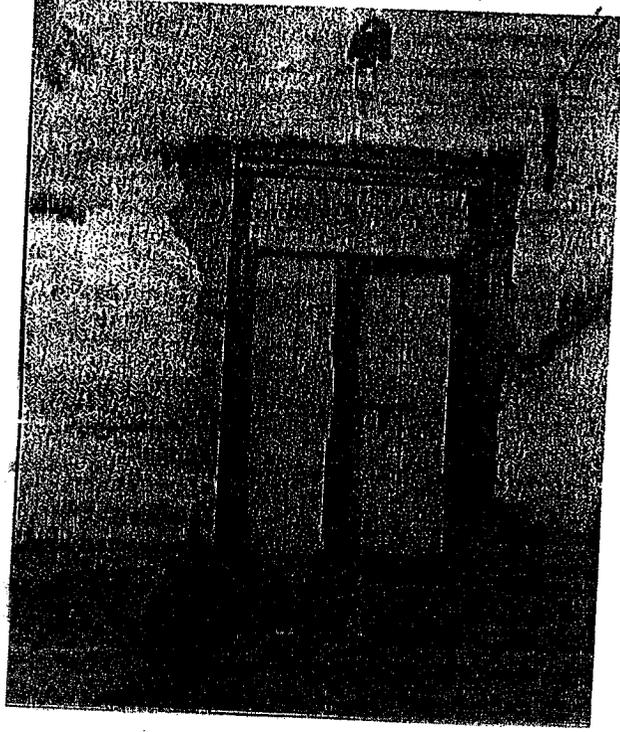
لوحة رقم (١٣٥): مسجد عائشة بنت جمة بزنجبار (العقود الفارسية) (عن: حسن عبدالله).



لوحة رقم (١٣٦): محراب مسجد عائشة بنت جمعة بزنجبار.  
(عن: حسن عبدالله)



لوحة رقم (١٣٧): الواجهة الغربية لمسجد عائشة بنت جمة. (عن: حسن عبدالله)



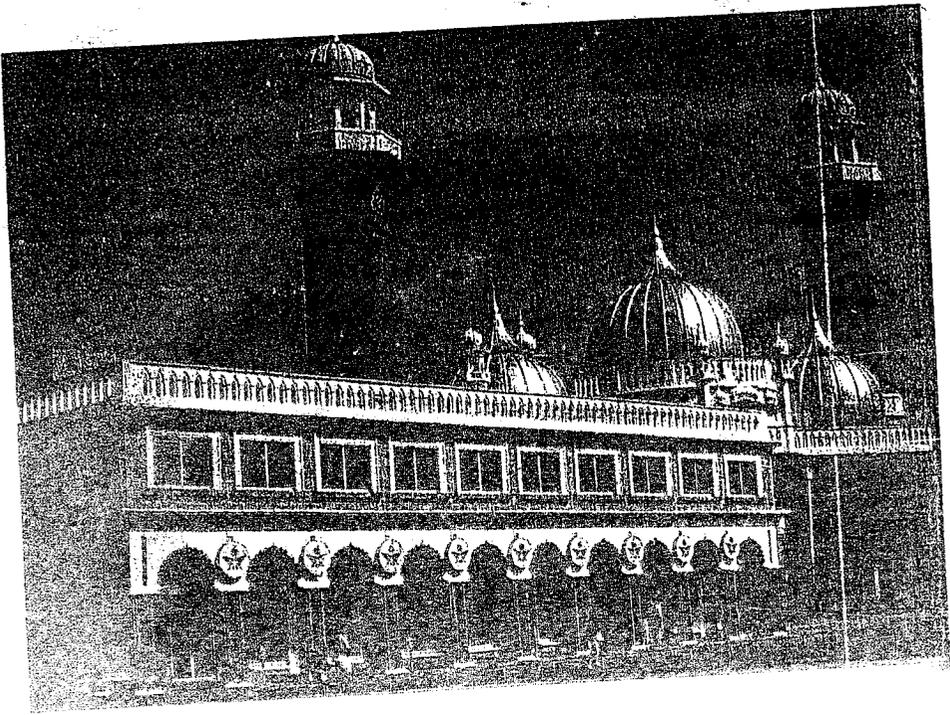
لوحة رقم (١٢٨): مدخل مسجد عائشة بنت جمة.  
(عن: حسن عبد الله)



لوحة رقم (٣٩): الزخارف النباتية على أحد الأبواب الممانية.

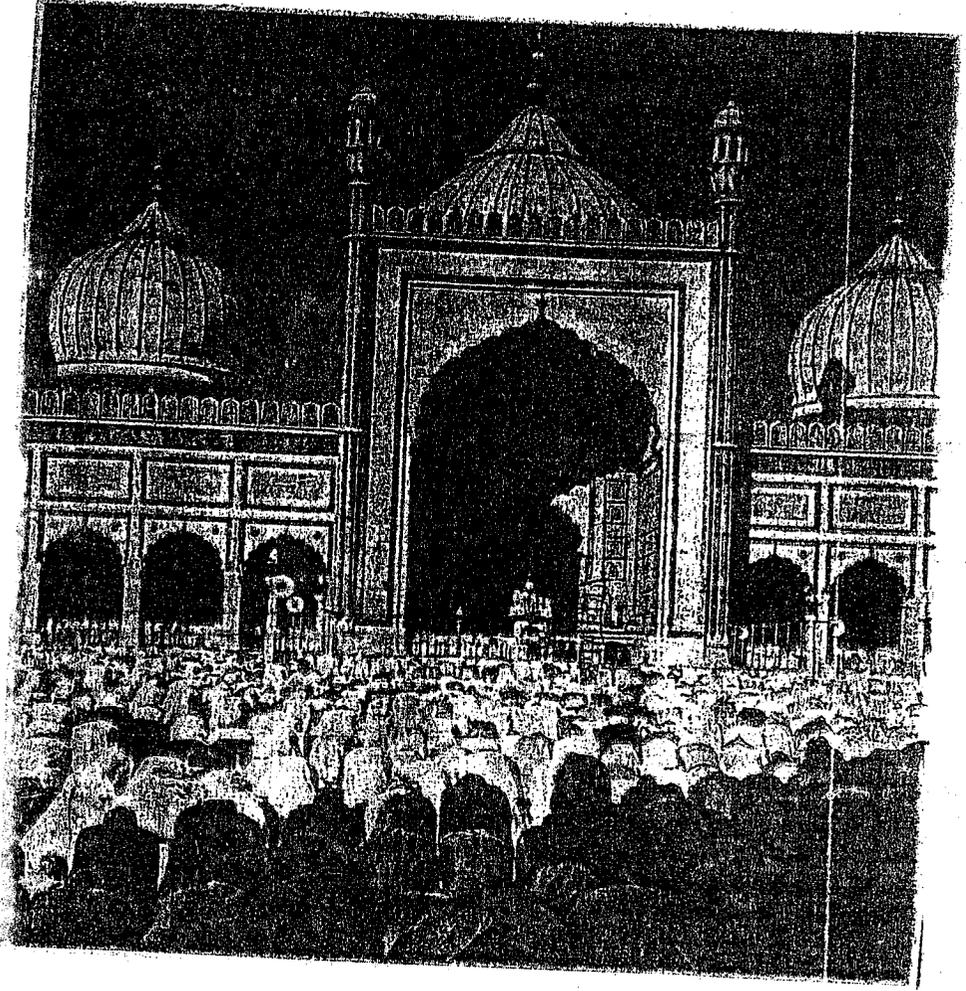


أبوحة رقم (٣٠): المسجد الجامع في هراري، إثيوبيا.  
(عن: Horton)

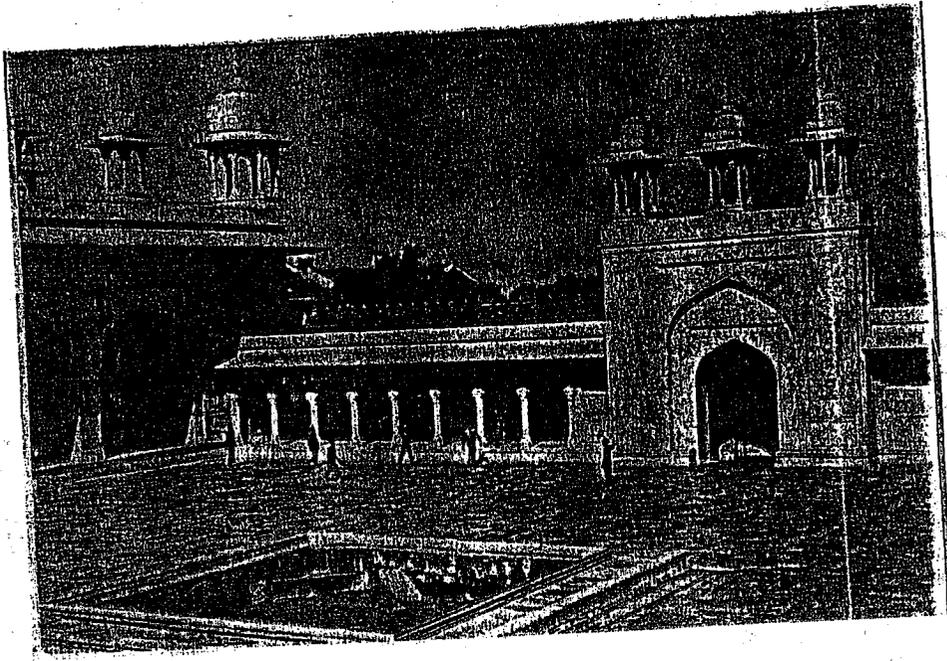


أبو حنيفة (٢٤١) المسجد الجامع في Luxor - كيند.

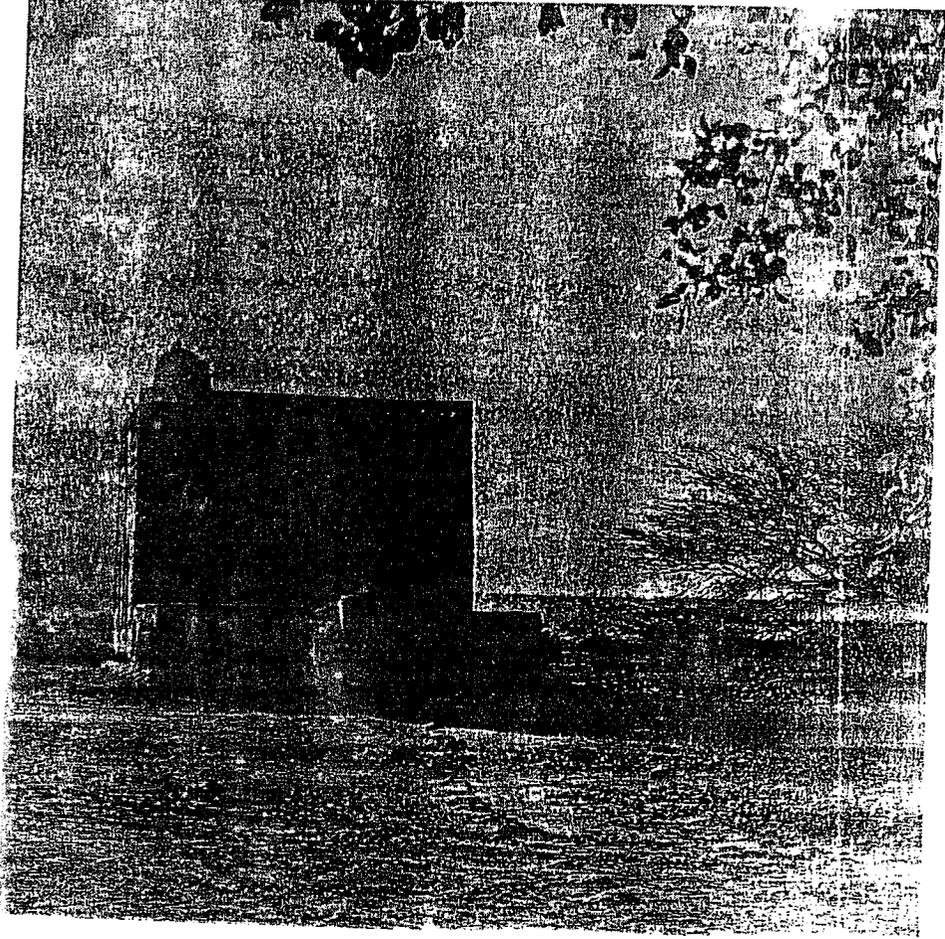
(Elauddin Darsai ١٥٨)



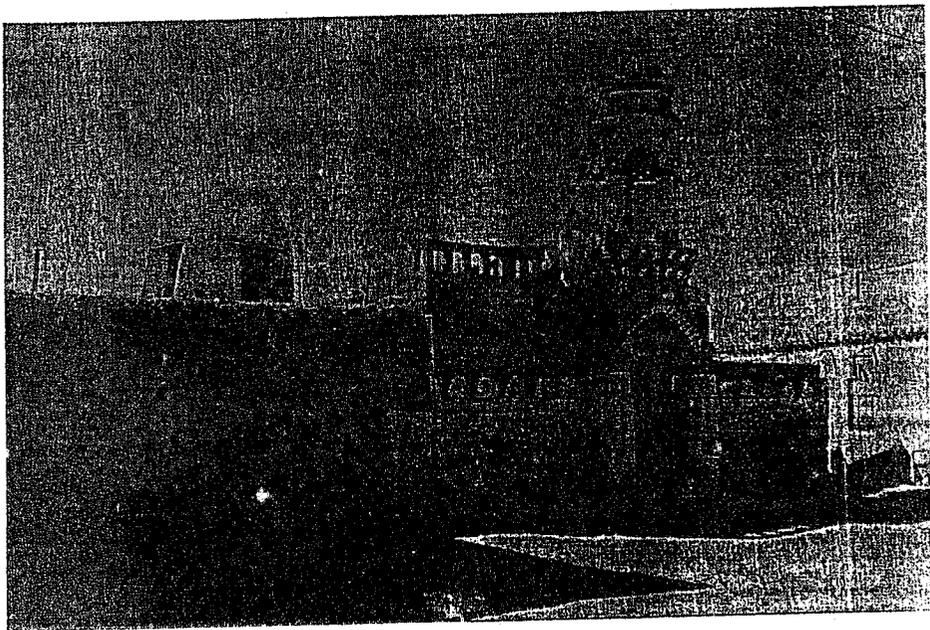
الواجهة الرئيسية: مسجد الجمعة في مدينة دلهي. (الاميراطور شاه جهان ١٦٥٠-١٦٥٦م).



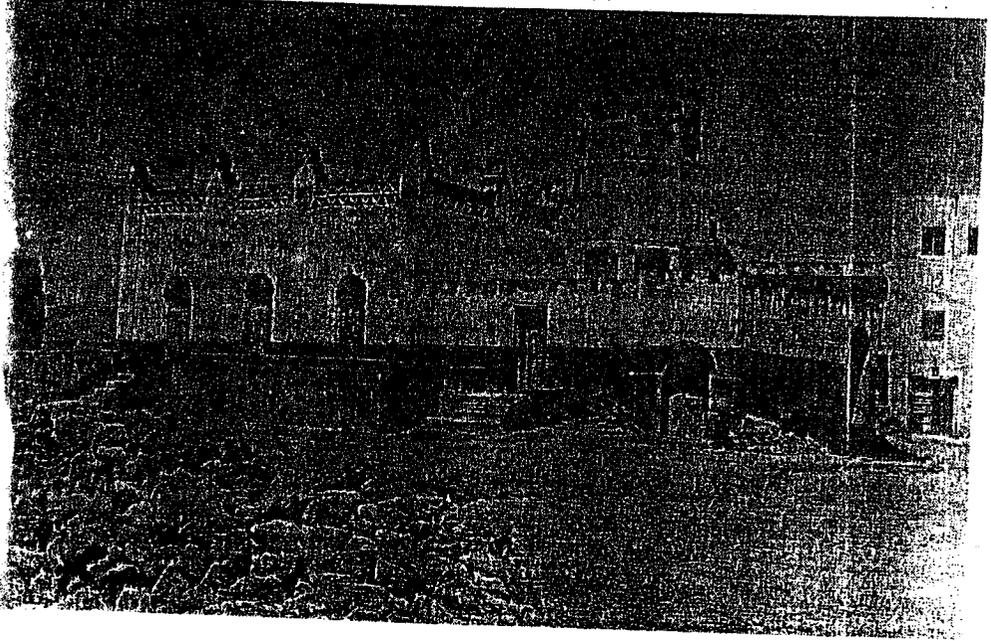
الوجهة والشمس (١٣٣٣): مسجد موتي (اللؤلؤ) Moti داخل قلعة آجرا بناه هند (الامبراطور شاه جهان ١٦٤٦ م).  
(عن: Ziauddin Deesai)



أوجه رقم (٣٤): مسجد فاتح البوسملي في بوش (سلطنة عمان)



لوحة رقم (٣٥): مسجد صور، وتملو مدخله منبذة جوسقية (سلطنة عمان)



لوحة رقم (٢٣٦): المسجد القديم في صلالة (هدم سنة ١٩٨٣ م) (عن: باولو كوستا)